التَّفسيرُ: قَوَاعِدٌ وَأُصُولٌ

أ.د: عبد الحميد محمود البطاوي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم
كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية – جامعة الأزهر

التَّفسيرُ: قَوَاعِدٌ وَأُصُولٌ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد له الذي خلق كل شيء بقدر والصلاة والسلام على خير الخلق وقدوة البشر وعلى آله وصحبه حافظي الكتاب متبعي الأثر.

أما بعد؛

فإن فلاح الأمة في صلاح أعمالها، وصلاح أعمالها في صحة علومها، وصحة علومها في أن يكون رجالها أمناء فيما يروون أو يصفون، فمن تحدث في العلم بغير أمانة، فقد مس العلم بقرحة ووضع في سبيل فلاح الأمة حجر عثرة[1].نعوذ بالله من ذلك، وأعاننا الله على فهم كتابه والعمل به.

هذا وقد كنت أنبهر بفهم العلماء المحققين كما افتخرت بفتوح الله على أئمتنا المجتهدين. وكم تمنيت أن ترجع أمتنا إلى عصورها الزاخرة وأيامها الباهرة ، وكنت كلما قرأت تحقيقاً دقيقاً أبحث عن سبب دقته وعلة قوته ، وبالتتبع لطرق استنباطهم علمت أنهم كانوا يحتجون بأدلة قوية وحجج عالية و أفهام راقية وقد أُعجبت بشيخى العلامة الشيخ الدكتور إبراهيم خليفة الذي كان يذكر عشرة حجج بل أكثر لبيان صحة قوله ولو اكتفى بحجة واحدة لأقنعنا بما يريد. ولكنه التحقيق والتدقيق،لذا أقدم هذا البحث ليكون عونا لطلاب العلم على كتابة الأبحاث أو تحرير الأقوال وهذه مقدمة الفكرة التي كنت جمعتها

[1] مقال "الأمانة في العلم" للعلامة الشيخ محمد الخضر حسين في افتتاحية مجلة نور الإسلام وقد ذكر رحمه الله عدم أمانة بعض المؤلفين

الفصل الأول

كيف تصبح مفسراً ؟

المبحث الأول

شروط ونصائح

بادئ ذي بدأ نقول إننا لم نجد مادة في علم التفسير تضع منهجا لدراسة التفسير إلا مادة مناهج المفسرين ولكنها تدرس مناهج المفسرين ولا تضع قواعد لكتابة أبحاث التفسير وعلوم القرآن بل بقية المؤلفات الخاصة بالتفسير فلكل كتاباته الخاصة وأسلوبه المميز ولكن أين القواعد التي لا بد أن يلتزم بها المؤلف؟.

فمثلا لعلم التفسير الموضوعي شروطه التي تميزه عن التفسير التحليلي ولكن كثيرا من المؤلفات كتبت في التفسير الموضوعي بطريقة غريبة وعجيبة حتى قال العلامة عبد الغني الراجحي رحمه الله إنه موضوع تفسيري وليس تفسيرا موضوعيا . وكذا بعض الباحثين الذين كتبوا في التفسير بالمأثور خرجوا به عن التفسير بالمأثور إلى التفسير بالرأي مما جعل العلامة الدكتور إبراهيم خليفة يرفض الموافقة على خطط أبحاث في التفسير بالمأثور! وقُل مثل ذلك في بعض الكتابات في مادة علوم القرآن التي قد يخرج بها المؤلف إلى مناهج المفسرين ومن يكتب في مناهج المفسرين فيخرج إلى علم الدخيل أو إلى علوم القرآن .ثم تأمل الرسائل العلمية تجد بعض الرسائل خلطت بين علوم التفسير بعضها مع بعض وخلط في الأبواب .ثم تأمل ترك بعضهم تخريج الآثار محتجا بأنه متخصص في التفسير لا في الحديث وهذه الكلمة قالها أحد الباحثين لشيخه المشرف على رسالته. وبعضهم يخرج المرفوع دون الموقوف فضلا عن المقطوع، وبعضهم يخرج الحديث من غير أن يحكم عليه ولو عن طريق أحد الحفاظ.

كيف تصبح مفسرا ؟!

لا تستغرب من هذا التساؤل فإنه من الأهمية بمكان وقد يقول قائل هذا سوف يجرؤنا على التهجم على كتاب الله فنقول له هل لو لم نذكر هذا السؤال هل سيحجم الناس عن ارتقاء ذلك المرتقى؟ هل سيمتنع الباحثون عن كتابة أبحاثهم سواء كانت في مرحلة التخصص "الماجستير" أو درجة العالمية"الدكتوراة"؟ فضلا عن مئات الكتب بل قل آلاف الكتب والأبحاث وحلقات وسائل الإعلام حتى سمعنا إحدى الفنانات المعتزلات أسأل الله أن يتقبل توبتها سمعناها تلقى دروسا في التفسير ولقى حديثها الإعجاب من عامة المشاهدين، فأيهما أولى بنا أن نذكر شروط من يتصدي لكتابة لتفسير القرآن نُعرفه بالقواعد العامة للتفسير لا ليفسر بل ليفهم التفسير الذي سيعتمد عليه وليعرف الأصيل من الدخيل وليعرف كيف يكتب وكيف ينقل وكيف يلخص وكيف يختار وكيف يتحدث فهذا البحث أسأل الله أن يكون خالصا لوجهه الكريم إنما هو يأخذ بيد من يريد أن يقرأ كتاب تفسير كيف يقرأه كما أنه سيعين من يريد كتابة بحث في التفسير كيف يكتبه .فليس الغرض منه أن ندعى أننا سنستطيع أن نعلم طلابا يكونون كابن جرير الطبري أو القرطبي أو الألوسي.

ولكن ما المانع أن نحاول ذلك؟ فها هو القرن الرابع عشر الهجري كتب فيه من عظماء الأمة نعم كتبوا فيه من التفاسير ما يفوق كتب السابقين من القرون السوالف فمن أي العصور كان محمد عبده ومحمد رشيد رضا ومحمد جمال الدين القاسمي ويوسف الدجوي وإبراهيم الجبالي والشيخ المراغي والأستاذ محمد فريد وجدي وبديع الزمان النورسي والشيخ محمد عبد الله دراز والشيخ شلتوت والشيخ محمد أبو زهرة والشيخ محمد زاهد الكوثري والعلامة الطاهر بن عاشور والشيخ عبدالرحمن السعدي والعلامة الشنقيطي والشيخ سعيد حوي والشيخ أحمد السيد الكومي والشيخ عبد الفتاح أبوغدة والشيخ عبد الرحمن المعلمي والشيخ الألباني والشيخ ابن عثيمين الشيخ محمد حسنين مخلوف وآل الغماري والشيخ محمد أمين الهرري والشيخ الشعراوي والشيخ الغزالى والشيخ يوسف القرضاوي والدكتور عبد الغفور محمود مصطفى رحمهم الله تعالى.

والدكتور وهبة الزحيلي والأستاذ الدكتور محمد أبو موسى وأستاذنا الشيخ الدكتور عبدالستار فتح الله سعيد وأستاذنا الشيخ الدكتور إبراهيم خليفة وغيرهم كثير..

والأساتذة الأفاضل الذين كتبوا الرسائل العلمية في التفسير التحليلي والتفسير الموضوعي والسادة أعضاء المجامع العلمية الذين كتبوا تفسير القرآن ولا ننسى عمل الأفاضل الذين كتبوا تراجم لمعاني القرآن الكريم ولماذا نستبعد ذلك وقد رأينا من يصنع رياضيا أو سياسيا أو عسكريا بل هناك معاهد متخصصة لإعداد القادة فلنتمنى من الله وهو على كل شيء قدير أن نجد من يقوم على إعداد المفسر ولو قمنا بإعداد ألف مفسر ونجحنا في عشرة لتغيرت الدنيا بل لو خرجنا بواحد لما خسرنا الباقين؛ لأن ما ينفع الناس يمكث في الأرض ،فالمفسر واحد والفاهم للتفسير عشرة مثلا والمستوعب للتفسير عشرون وهكذا بل قد يحي الله ممن نظن أنهم لم يصلحوا الآن. وهذه فكرة لعل الله يقيض لها من يقوم على إحيائها ولو قام بها كل طالب بنفسه واستمد العون من ربه لأعانه الله والله ذو الفضل العظيم. لهذا أقدم هذا البحث متمنيا من كلية أصول الدين بكليات الجامعة عامة وكلية أصول الدين بالمنوفية خاصة أن يقوم كل أستاذ بقسم التفسير أن باختيار أحد الطلبة من الفرقة الثالثة ويعتني به وينفق عليه ويعطيه من كتبه ومراجعه ووقته وفكره حتى يصل به إلى مرحلة العالمية ويكون هذا الطالب تلميذ ذلك الأستاذ على مدار عشر سنين ولننتظر العون من الله المعين.

هذا ومن المعقول أن نقسم فترات الكتابة التي يصل إليها الباحث نقسمها قسمين قسم التحصيل والتعلم والقراءة والإعداد والتأهيل ... والقسم الثاني مرحلة الكتابة والتوصيل والإمداد للناس بالكتابة والإلقاء...

لماذا تؤلف كتابا؟

كثرت الكتب في المكتبات لدرجة كبيرة فلا يستطيع الموظف في المكتبة أن يعرف ما لديه من كتب، فضلا عن أن يخبرك بما صدر من كتب جديدة فهل كل تلك الكتب ذات جدوى أو لها فائدة؟ .

لذا نتساءل لماذا تقدم على التأليف وما الداعى للتأليف؟

هناك أسباب للتأليف ذكرها أولى النهى من العلماء فليس كل من أراد أن يؤلف يكتب ما يشاء من غير نظر إلى داعي يدعوه لهذا التأليف ولينظر هل يأتي بجديد.لابد لمن تصدى للكتابة أن يفكر لماذا أكتب وفي ذهنه تلك المقولة الرائعة التي تداولها العلماء :

الأقسام السبعة التي لا يؤلف عاقل إلا في أحدها، وهي

١-إما شيء لم يسبق إليه يخترعه

٢-أو شيء ناقص يتمه

٣-أو شيء مستغلق يشرحه

٤-أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه،

٥-أو شيء متفرق يجمعه

٦-أو شيء مختلط يرتبه،

٧-أو شيء أخطأ فيه مؤلفه يصلحه.[1] .

---

[1] رسائل ابن حزم الأندلسي رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها.١٨٦/٢ المحقق : إحسان عباس الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، نفح الطيب للمقري ٢٧٦/٣ وراجع " التقريب لحد المنطق " ص: ١٠. لابن حزم. دستور الأخلاق في القرآن للشيخ الدكتور محمد عبدالله دراز

وقال حجة الإسلام الغزالي في الإحياء:

ولقد صنف الناس في بعض هذه المعاني كتبا ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور:

الأول حل ما عقدوه وكشف ما أجملوه.

الثاني ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه.

الثالث إيجاز ما طولوه وضبط ما قرروه.

الرابع حذف ما كرروه وإثبات ما حرروه.

الخامس تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأفهام لم يتعرض لها في الكتب أصلا ...[١].

وقد قال شيوخنا من ألف فقد أُستهدف. أي للمدح أو الذم ،ومن ألف فقد عرض عقله في طبق وقال قدامة بن جعفر عن تأليف الكتب:نتائج اللب ؛وكان المتجاسر على تأليفها إنما يبدى صفحة عقله،ويبين مقدار علمه وجهله[٢]. وعليك الاستعانة بالله والتوكل عليه قال أبو الوفاء ابن عقيل: شاهدت شيخنا أبا إسحاق لا يخرج شيئاً إلى فقير إلا أحضر النية ولا يتكلم في مسألة إلا قدم الاستعانة بالله عزوجل وأخلص القصد في نصرة الحق: ولا صنف مسألة إلا بعد أن صلى ركعات، فلا جرم شاع اسمه وانتشرت تصانيفه شرقاً وغرباً لبركة إخلاصه[٣]

---

[١] إحياء علو م الدين لحجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ٤/١ تحقيق بدوي طبانة طبعة الحلبي

[٢] نقد النثر لأبي الفرج قدامة بن جعفر صـ٣ ،٤ دار الكتب العلمية بيروت.١٤١٦-١٩٩٥.

[٣] المجموع شرح المهذب للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي ٣٤/١ تحقيق الشيخ محمد نجيب المطيعي الناشر مكتبة الإرشاد جدة المملكة العربية السعودية

تنبيه

ويجب علينا ألا نحقر عمل المعاصرين من العلماء فقد أجهدوا أنفسهم في البحث والتنقيب والعمل الدءوب من التحقيق والتدقيق وقد تجد لهم من التحقيق مالا تجده لدى أكابر العلماء السابقين وأقصد بالعلماء المعاصرين مثل الإمام محمد عبده والأئمة الذين ذكرنا بعضهم آنفاً فهؤلاء ما من كتاب لأحدهم إلا وفيه خير كثير أما الباحثون من طلبة العلم الذين كتبوا رسائل علمية نوقشت وأجيزت فلا شك في فائدتها وإنها لعلامة على نبوغ صاحبها وأنه أهل لأن يؤخذ عنه لا سيما لو حافظ على القواعد العلمية المتفق عليها في البحث والكتابة ولم يكسل عن البحث والتنقيب فكبار اليوم كانوا صغارا بالأمس فلا تحقرن مجهود أحد وكثيراً ما يقال هذا موضوع مكرر أو قُتل بحثا من غير قراءة الكتاب أصلا فكيف يحكم على ما لا يعلم.

أي أن هذا الكلام له وجهتين

١-للمؤلف نقول له لا تُعِد ما كتب سابقا ولا تكثر على الناس من العناوين.

٢-ووجهة للقارئ نقول له لا تحقرن مجهود أحد إلا لسبب.

شروط المفسر

وقبل الإقدام على تلك المهمة الخطيرة على الباحث أن يلم بشروط المفسر من حسن الاعتقاد و المقصد وحسن النية و تحصيل العلوم التي يحتاج المفسر إليها :

حيث إنه لا يجوز لكل إنسان أن يفسر القرآن الكريم ، وإنما يفسره من هو أهل له ممن تحلى بحلية العلماء وتخلق بأخلاق الربانيين لهذا قد وضع العلماء شروطا لمن أراد أن يفسر القرآن من أهمها أن يتعلم علوما لها صلة وثيقة بتفسير القرآن منها:

١-اللغة ٢-النحو ٣-التصريف ٤-الاشتقاق .
٥-المعاني ٦-والبيان ٧-والبديع. قال الزركشي :وليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهوماتها تفسير شئ من الكتاب العزيز ولا يكفى في حقه تعلم اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين[1].
قال الزمخشري من حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح .وقال غيره معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدة التفسير المطلع على عجائب كلام الله تعالى وهي قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة .

٨- علم القراءات؛ لأنه به يُعرف كيفية النطق بالقرآن وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض كما عليه أن يميز بين المتواترة والشاذة. ٩-أصول الدين(علم الكلام)،وكذا معرفة الفرق ومعتقداتها.

١٠- أصول الفقه، وفي موضع من شرح الإلمام يقول ابن دقيق العيد: أصول الفقه هو الذي يقضي ولا يقضى عليه. [2] هذا العلم قاضٍ على بقية العلوم وليست هي تقضي عليه.ففي

[1] البرهان ٢/١٦٥

[2] البحر المحيط في أصول الفقه المؤلف بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ١/٥
تحقيق محمد محمد تامر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م

التفسير ندرس الأمر والنهي وندرسالمفهوم والمنطوق وندرس الناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد والعام والخاص... فلابد للمفسر من التبحر في هذا العلم وقراءة الشروح والحواشي والأمر ميسور فدونك جمع الحوامع وشروحه وحواشيه.. والله المستعان.

١١- أسباب النزول والقصص ،١٢- الناسخ والمنسوخ ،١٣-الفقه وعلم الخلاف بين الفقهاء.

١٤-علم الحديث رواية ودراية.

١٥-علم الموهبة وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم.

وكذا كل علم يعين على فهم آية فهو من العلوم التي يجب تحصيل القدر المعين على فهم الآية.

قال ابن أبي الدنيا وعلوم القرآن وما يستنبط منه بحر لا ساحل له قال فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسر لا يكون مفسراً إلا بتحصيلها فمن فسر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهى عنه وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسراً بالرأي المنهى عنه.قال في البرهان اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا أو وهو مصر على ذنب أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم أو راجع إلى معقولة وهذه كلها حجب وموانع بعضها (آكد) من بعض قال بعض العلماء حين سئل ما خير تفسير للقرآن فأجاب الدهر يعني أن العلوم والمعارف والأفكار والحوادث والتجارب التي تجد في الزمن عوامل مهمة في شرح القرآن وكل حقبة من سلسلة هذه الأزمان الطويلة تكشف عن بعض مخبوءات أسراره التي لم تكن معروفة من قبل[1].

مَا مِنْ عِلْمٍ مِنْ الْعُلُومِ الْجُزْئِيَّةِ إلَّا وَلَهُ مَبَادٍ تُؤْخَذُ مُسَلَّمَةً بِالتَّقْلِيدِ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ وَيُطْلَبُ بُرْهَانُ ثُبُوتِهَا فِي عِلْمٍ آخَرَ[2].

---

[1] التيسير في قواعد علم التفسير للإمام محى الدين محمد بن سليمان الكافيجى ص٤٩-٥٣ تحقيق د/ أنور محمود المرسي خطاب الناشر دار الصحابة الطبعة الأولى ١٤٢٨-٢٠٠٧ .الإتقان ٢٨٥/٤ مناهل العرفان ٧٤،٧٥/٢

[2] المستصفى (ص: ٧)

المبحث الثاني

بين الكتابة والقراءة

الإعداد للكتابة[1].

وقبل الكتابة تكون القراءة ولكن كيف نقرأ ؟ وهل كل قراءة تصلح لطالب العلم؟ وهل كل الكتب تقرأ بطريقة واحدة؟ وهل من في بداية طلب العلم يقرأ مثل من قضى مرحلة في طلب العلم؟ وهل من يقرأ للاستزادة كمن يقرأ للمناقشة والمناظرة وللكتابة؟. لابد لنا من وقفة عند القراءة قبل أن نُقحم أنفسنا في الكتابة من غير أن نكون على أُهبة الاستعداد الكافي للقراءة

ومعنا تجربة فريدة من نوعها لعلم كتب وقرأ ولكنه أعاد قراءة ما قرأ بعد أن أحس أن هناك طريقة مثلي في القراءة ألا وهي القراءة بطريقة التذوق

فالعلامة الشيخ محمود محمد شاكر -رحمه الله- قد غير طريقة قراءته إلى منهج مفيد هو منهج تذوق الكلام يقرأ قراءة متأنية عند كل لفظ ومعنى يتذوق الكلام بعقله وقلبه وبصيرته وأنامله وأنفه وسمعه ولسانه فعل هذا مع الشعر ثم إذا به يجرب هذه الطريقة الفريدة على كل كلام فقرأ كل ما وقع تحت يده من كتب السلف من تفسير وعلوم قرآن وكتب الحديث وشروحه وكتب مصطلح الحديث وكتب الجرح والتعديل وكتب الفقه وأصول الفقه وكتب أصول الدين (علم الكلام) والملل والنحل وكتب الأدب والبلاغة وكتب النحو واللغة وكتب التاريخ وغير ذلك من أبواب العلم كان يقرأ كتب السلف على أنه إبانة منهم عن خبايا أنفسهم بلغتهم على اختلاف أنظارهم وأفكارهم ومناهجهم وكانت النتيجة العجيبة فقد عثر على فيض غزير من مساجلات صامته خفية كالهمس ومساجلات ناطقة جهيرة الصوت غير أن جميعها إبانة صادقة عن هذه الأنفس والعقول[2].

---

[1] هذا المبحث يعم كل علم من العلوم .وبالتجربة فإن قراءة الكتاب أكثر من مرة أفضل من قراءة أكثر من كتاب وكلما كان الكتاب لأهل التحقيق والإتقان كلما احتاج الباحث إلى الدقة والتأني والصبر والتكرار لفهم عبارة المصنف. وكان علماؤنا يحبون الاختصار حتى قالوا :إن الإطالة أكثر أسباب الملالة. بل كان الخليل يقول إنهم لم كان بإمكانهم تيسير الكلام فيفهمه الخاصة والعامة ولكنهم أبقوا مزية للعلماء بعدهم.(نقد النثر صـ٣ ، شرح المفصل ١/١)

[2] رسالة في الطريق إلى ثقافتنا: ٦ – ٧ ط الهيئة العامة للكتاب.

ولنحسن في اختيار العلم الذي نريد أن نتعلمه ولا نثقل على عقلنا بمزاحمة أكثر من علم في وقت واحد وهذا ما يتعبنا في علم التفسير فنحن نكثر من القراءة في أكثر من علم في وقت واحد مما يشكو منه طلبة العلم وقد قال ا بن رشد :من رام أن يتعلم أشياء أكثر من واحد في وقت واحد لم يمكنه أن يتعلم ولا واحدا منها[1]. وإننا نعترف بتقصيرنا وعجزنا عن البلوغ للكمال ولكننا نستطيع أن نسير إليه ولو حبوا ولو قيل أين العلوم التي تدرسونها أين العلماء الذين تتلقون عنهم فإننا نقول إن الله حافظ دينه إلى يوم القيامة ولا تزال طائفة من الأمة ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ،ولو حدث تقصير فهناك جبر لذلك التقصير فأوصي إخواني طلبة العلم ممن تخرج في كلية أصول الدين أن ينتسب لكلية تزيده تعمقا في فهم كتاب الله فإما أن ينتسب لكلية اللغة العربية أو لكلية الشريعة فيضف لرصيده الذي من الله به عليه في كلية أصول الدين رصيدا آخر، لا غنى عنه من كلية اللغة أو الشريعة فإن كان مَلَّ من الدراسة الشرعية فليميز نفسه بدراسة لغة أخرى فينتسب لكلية اللغات فيكون منبراً للقرآن لغير الناطقين بالعربية بذلك نكون قد جبرنا نقصاً نوصف به غالباً من البعض سواء كان ذلك غيرة على الدين أم حقداً علينا .

---

[1] الضروري في أصول الفقه ص:٣٨، ٣٩ المؤلف : أبو الوليد محمد بن رشد الحفيد المتوفى سنة (٥٩٥هـ) .تقديم وتحقيق: جمال الدين العلوي الناشر : دار الغرب الإسلامي بيروت
الطبعة الأولى ١٩٩٤م

وكي تكتب كتابة تليق بالقرآن وتفسيره فاتبع منهج أهل التحقيق والتدقيق ومنهج طرق القراءة والكتابة فدونك منهج التحليل الذي يبدأ بانتزاع شيء مجتمع له صورة ومعنى، يجزئه المحلل أجزاء دقيقة فيصير كل جزء منفردا على حياله، ثم ينظر فيه على حياله أيضا ثم يبحث المحلل بعد عن الروابط التي تربط كل جزء بأخيه ثم عن الروابط الأخرى التي تجعله شيئا مجتمعا له صورة ومعنى وهذا عناء عسر بلا ريب ولكنه في الحقيقة عناء لذيذ وعنت مرغوب فيه لأنه يفضي بنا إلى غاية من الرضى والاطمئنان وإلى ثقة بوضوح الصورة وإلى التثبت من سلامة المعنى وإلى التحقق من براءة الروابط من كل عيب يقدح في وضوح الصورة وفي سلامة المعنى وانتظامه جمل الكلام من أوله إلى آخره[1].وليت من يكتب في التفسير الموضوعي يقوم بهذا التحليل فيجمع المفترق من كتب التفسير التحليلي و بفرق بينها في الفهم ثم يجمعها في موضوع واحد تحت أصول متقاربة ويضفي على التفسير الموضوعي قوة ورصانة ودقة التفسير التحليلي.

[1] قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الشيخ محمود شاكر ص٣٦ مطبعة المدني الأولى ١٤١٨-١٩٩٧

نصائح للمحقق

الدقة في الكتابة تستلزم صحة النقل وفهمه

تحقيق النص معناه:

قراءته على الوجه الذي أراده عليه مؤلفه.

أو على وجه يقرب من أصله الذي كتبه به هذا المؤلف، وليس معنى يقرب من أصله أننا نخمن أية قراءة بل علينا أن نبذل جهداً كبيرا في محاولة العثور على دليل يؤيد القراءة التي اخترناها.

فالتحقيق إثبات القضية بدليل[1]، وعلى الباحث أن يكون على قدر من الخبرة بتحقيق النصوص حتى لا يثق في المصدر الذي يعتمد عليه وثوقا مطلقا.

وهو مطالب بتحقيق النص الذي يستنبط منه نتائج معينة، قبل أن يقدم على استنباط هذه النتائج، وليس من اللازم أن يكون ذلك النص مخطوطا، فكثير من الكتب المطبوعة التي بين أيدينا، لا تفترق كثيرا عن المخطوطات، إذ أن الذين تولوا طبعها ونشرها، طائفة من الوراقين وبعض الأدعياء، الذين لا يدرون عن فن تحقيق النصوص شيئا؛ ولذلك جاءت هذه المطبوعات في كثير من الأحيان مليئة بالتصحيف والتحريف،نصوصها مضطربة مشوشة تبعد كثيرا عن الأصل الذي كتبه مؤلفوها..

وخلاصة القول أن الباحث إذا وجد في المصادر الثانوية ما يحتاجه، فعليه أن يرجع به إلى المصادر الأصلية؛ ليتحقق من صحته.

وقد عودتني التجارب الكثيرة أن العودة إلى المصادر الأصلية ضرورية جداً؛ لأن كثيراً من هذه المصادر الثانوية ، قد تسيء فهم المصدر الأصلى أحياناً، أو يصيبها التصحيف والتحريف

---

[1] مناهج تحقيق التراث بين القدماء والمحدثين د/ رمضان عبدالتواب صـ٥ مكتبة الخانجي

أحياناً أخرى .. ثم ذكر رحمه الله نماذج كثيرة راجع فيها إلى المصادر الأصلية فصوب ما ذكرته المصادر الثانوية[1].

وهذا الذي ذكره الدكتور رمضان عبد التواب ينطبق على أغلب المنشورات مثل مطبوعات (دار الكتب العلمية) ببيروت فكأنهم أتوا بالكتب فطبعوها سواء كانت محققة أم غير محققة المهم أنهم كتبوا أسماءهم كأنهم محققين، فهل تصدق أنهم قرأوا كل تلك الكتب فضلا عن تحقيقها مع العلم بأن ما قالوا أنه من تحقيقهم كتب في التفسير والفقه واللغة وغيرها!.فهل نقارن تحقيقهم بتحقيقات العلامة الكوثري أو الشيخ عبدالسلام هارون أو آل شاكر أو الشيخ محي الدين عبدالحميد؟ ولكننا هنا سوف نعلق على بعض الكتب المحققة والتي تحتاج إلى تعليق وعلى مثل ما ندرسه هنا نقيس عليه والله والمستعان.

[1] بحوث ومقالات في اللغة د/ رمضان عبدالتواب صـ ١٩١ -٢٠١ وقد ذكر نصوصاً منقولة من كتب مطبوعة بين أنها محرفة لأنها لم تدرس ولت تحقق تحقيقاً علمية ولم يفطن إلى ذلك من أشرف على طباعة الكتاب أو حققه(الناشر مكتبة الخانجي القاهرة الأولى ١٤٠٣-١٩٨٣.

محاسن التأويل تفسير الإمام القاسمي

أكرمني الله تعالى بدراسة هذا التفسير وبيان منهج العلامة القاسمي في بحثي للعالمية (الدكتوراة)

والكتاب قد حققه الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي

ونسخة الكتاب وحيدة حيث إن القاسمي لم يكتبه إلا مرة واحدة ولكنه كتبه وأعاد النظر فيه وشطب الجزء الثاني برمته تقريبا، وفيه تفسير الفاتحة وبعض سورة البقرة...وشطبه أنواع: فقد شطب بعض الأسطر وما زال تحتها مقروءاً وطمس بعضها طمساً كاملاً ....واستأصل بعض الأوراق...[١] و قال الشيخ محمد بهجة البيطار: وخص كاتب هذه السطور مراجعة المطبوع جزءاً فجزءاً وتصويب الأغلاط المطبعية وهو ما يراه القارئ آخر كل جزء منه وقد بلغ سبعة عشر جزءاً[٢]. هذه قصة الكتاب وطبعه، ولكن المفاجأة تأتي من الشيخ عبد الله صديق الغماري حيث قال: تفسير القاسمى لا بأس به يميل إلى وضوح العبارة وتبسيط البحث الذي يتعرض له ...وحين أريد تقديمه إلى المطبعة أشرف على طبعه شخص في عقله شيء ، زرته مرة ببيته فأطلعني على نسخة التفسير بخط القاسمى سلمها إليه ابنه ليشرف على طبعها فإذا هو قد ضرب بالقلم الأحمر على بحث النسخ الذي ذكره المؤلف عند قوله تعالى (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها). فسألته عن سبب شطب هذا البحث فقال: لأنه لا يليق بمقام القاسمى الذي كان يسميه الشيخ رشيد رضا : عالم الشام. فحذفته وحذفت ما كان من قبيله عديم الفائدة قليل الجدوى.

قلت له: لكن هذا ينافي الأمانة العلمية. فقال: التفسير لم يطبع قبل الآن ولا أحد يعرف ما حذف منه ونجل المفسر وهو نقيب المحامين بدمشق أباح لي التصرف فيه حسبما أراه مصلحة وهذه البحوث لا تليق بالقاسمى وبشهرته العلمية.

---

[٢] حلية البشر ٤٤٠/١

قلت له: اتركها كما كتبها المؤلف وعلق عليها برأيك فأبى وأصر على حذفها ،وبناء على هذا فالتفسير المذكور ناقص في عدة مواضع وهذه خيانة علمية ما كان ينبغي أن تحصل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ١ ،

قلت: ليت المحقق أطاع الشيخ الغمارى وترك ما كتبه القاسمى من هذه المواضع لرأى المحققين من أهل العلم.

قلت ولكن ما قاله الأستاذ ظافر القاسمي من بيان أنواع تصحيحات القاسمي لتفسيره:فقد قال:ويحسن بي أن أشير إلى أن شطبها أنواع فقد شطب بعض الأسطر وما زال تحتها مقروءاً وطمس بعضها طمساً كاملاً ....واستأصل بعض الأوراق... فلعل الشيخ فؤاد عبد الباقي لم يحذف شيئاً مما أثبته القاسمي وما حذفه فهو مما حذفه القاسمي نفسه ولكن يؤخذ عليه أنه لم يوضح للشيخ الغماري ذلك لأمر ما.

أخذنا علي محقق هذا الكتاب مآخذ من بينها

* حذفه بعض ما لم يرتضه من تفسير القاسمي مما لم يره لائقاً بجلالة صاحبه.كما قال االشيخ الغماري.

* تقصير في بعض تخريجاته للأحاديث مع تيسر الوقوف عليها.كما بينت في الرسالة العالمية.
* وقوع في الطعن علي بعض القراءات المتواترة [١].

ومع هذا فالتحقيق مفيد لاسيما إذا قورن بكثير من تحقيقات دور النشر الآن.

---

[١] بدع التفاسير ص ١٦١

[١] ذكرت ذلك مفصلا في رسالتي للعالمية الإمام القاسمي ومنهجه في التفسير" تحت إشراف العلامة الدكتور /إبراهيم خليفة مخطوطة بكلية أصول الدين القاهرة.

الغرائب والعجائب في تفسير القرآن الكريم

مؤلفه:

العالم المحقق العلامة برهان الدين أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر الشهير بالكرماني الشافعي المصري.

صنف:

١–البرهان في توجيه متشابه القرآن وما فيه من الحجة والبيان فيه الآيات المتشابهات التي وقع تكرارها في القرآن العظيم وسببها وفائدتها وحكمتها وذكر فيه لب التفاسير.

٢–الغرائب والعجائب في تفسير القرآن الكريم وذكر فيه أن الناس يرغبون في غرائب تفسير القرآن وعجائب تأويله وقد سأله في ذلك جم غفير فأجاب سؤالهم لرغبتهم في ذلك ولما روى عن النبي أنه قال أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه وأوجز المؤلف المذكور في العبارة ولم يتعرض لتفسير الآيات الظاهرة المعاني على الوجوه المعروفة فإن ذلك كله موجود في الكتاب الموسوم بلباب التفاسير

٣– لباب التأويل في مجلدين[1]

هذا ولنا على محقق الكتاب:

عدم إتقانه تحقيق الكتاب

١ –فلم يعلق عليه تعليقا يوضح لنا ما في الكتاب من الدخيل و الأصيل لا سيما وأن منهج المؤلف أنه يخلط بين المقبول وغيره وذكر ما يرده أدنى نظر وقد يذكر المردود فقط.ولم نر من المحقق أدنى إشارة إلى المقبول فضلاً عن الجمع بين الأقوال أو الترجيح.

[1] طبقات المفسرين للأدنروي ١/١٥٩، ١٦٠

٢–كذلك تقصيره الظاهر في تخريج الأقوال المنسوبة إلى السلف. كذلك الحكم على صحة نسبتها إلى قائلها.

٣–وتقصيره في تخرج الأحاديث المرفوعة
بل إنه يخرج الحديث بالعلامة و الأمارة فيعزو الحديث إلى البخاري و كذا وكذا بأمارة هذه الكلمة أو العبارة.فقد يكون الحديث يتكلم عن موضوع وغرض المؤلف استدلاله بكلمة من الحديث فعزو المحقق لكتاب ليس فيه هذه الجملة المستدل بها غير وجيه بل وفيه تلبيس فالمحدثون يقولون أخرجه فلان وفلان واللفظ لفلان وقد تكون الكلمة المعينة هي سبب ضعف الحديث مثلا أو تكون مدرجة فالحديث له طرق مختلفة ومتون متنوعة فلا تعزى رواية إلا إذا تأكدنا من نصها.

الدليل على ما نقول:

فقد قال الكرماني في تفسير قوله تعالى "سمعوا لها تغيظا وزفيرا":
قيل: المعنى إذا رأتهم جهنم سمعوا لها صوت التغيظ عليهم.
وقيل: المعنى إذا رأتهم خزانها سمعوا لهم تغيظا وزفيرا حرصا على عذابهم.والأول أصح؛ لما روي مرفوعا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: (من كذب علي متعمدا فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدا) قيل: يا رسول الله! ولها عينان؟ قال: (أما سمعتم الله عز وجل يقول: "إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا".
وعلى فرض صحة الحديث فلم نجده لا في البخاري وابن ماجة لأن الغرض من إيراده ليس الاستدلال به على تحريم الكذب على رسول الله—حتى يعزى إلي رواية البخاري- بل الغرض منه الاستدلال على أن لجهنم عينين ولا يوجد بالبخاري هذا اللفظ
بل الحديث: يخرج عنق من النار له عينان تبصران ولسان ينطق فيقول وكلت بكل من جعل مع الله إلها آخر فلهو أبصر بهم من الطير بحب السمسم فيلتقطه) في رواية (فيخرج عنق من النار فيلتقط الكفار لقط الطائر حب السمسم) ذكره رَزين في كتابه، وصححه ابن العربي في قبسه،وقال: أي تفصلهم عن الخلق في المعرفة كما يفصل الطائر حب السمسم من التربة.

وخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. (يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق بقول: إني وكلت بثلاث بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصورين) وذكر نحوه في مجمع الزوائد وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ:

"من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده بين عيني جهنم" فشق ذلك على أصحابه فقالوا: يا رسول الله نحدث بالحديث نزيد وننقص! قال: "ليس أعنيكم إنما أعني الذي يكذب علي متحدثاً يطلب به شين الإسلام" قالوا: يا رسول الله إنك قلت بين عيني جهنم وهل لجهنم عينان؟ قال: "نعم،أما سمعتم الله تعالى يقول {إذا رأتهم من مكان بعيد} فهل تراهم إلا بعينين؟".

رواه الطبراني في الكبير وفيه الأحوص بن حكيم ضعفه النسائي وغيره ووثقه العجلي ويحي بن سعيد القطان في رواية،ورواه عن الأحوص محمد بن الفضل بن عطية ضعيف (والراوي عن محمد بن الفضل أسيد بن زيد،كذبوه)[1].

مثال آخر

وأغرب من هذا عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ إن الله خلق الحور العين من الزعفران[2] عزاه المحقق للبخاري الجهاد ٦ والدارمي الرقاق ١١٨

وهذا الحديث لا يوجد في الكتب الستة أصلاً و لا في البخاريولا الدارمي فقد قال المناوي مخرجا هذا الحديث:ابن مردويه في تفسيره خط –أي الخطيب –في التاريخ عن أنس وفيه الحارث بن خليفة قال الذهبي في الذيل مجهول وقال ابن القيم وقفه أشبه بالصواب.فلو كان هناك كتاب أشهر منهما (تفسير ابن مردوية وتاريخ بغداد– لعزاه إليه لا سيما أنه كثيرا ما يتعقب الحافظ السيوطي بمثل هذا أي يعجب من عزوه لكتاب غير مشهور ويترك العزو للمشهور...وفي مجمع الزوائد رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفي إسنادها ضعفاء..[3].

---

[1] العجائب ٨٨٣/٢ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٤٨/١ للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي بتحرير الحافظين الجليلين : العراقي وابن حجر ١٤٠٨ هـ.– ١٩٨٨ م دار الكتب العلمية بيروت – لبنان

[2] العجائب (١١٧٧/٢

[3] مجمع الزوائد ٤١٩/١٠ فيض القدير ٤٢٣/٣

٢-كما أنه يخرج الأحاديث من كتب التفسير لا من كتب الحديث كما هو معروف -بل من التي لا تعنى بصحيح الحديث كمجمع البيان مثل(كرم الكتاب ختمه) [١].والقرطبي مثل(إنه كان أول نبي) [٢]

٣- عدم دقته في تعليقاته كترجمة أبي وائل

قال المحقق : شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي ،صحابي ، روى عن الأعمش والشعبي ، شهد صفين مع علي[٣].

قلت أبو وائل أدرك النبي ولم يره وهو صاحب عبد الله بن مسعود هذا كما في أسد الغابة ولا يفهم منه أنه صحابي بل تابعي وإن ذكر في أسد الغابة [٤].

٥- وكذلك تحديده للمبهم عند ترجمته لأحد الأعلام فقال عند ذكر قولاً لمطرف .

قال الكرماني في تفسير سورة القصص :عن مطرف أما والله لو كان عند موسى شيء ما تابع مذقتها ولكن حمله على ذلك الجهد. فترجم المحقق لمطرف فقال:مطرف بن عبد الرحيم بن إبراهيم كان بصيرا بالنحو واللغة واعتمد على الأعلام ١٥٤/٨ [٥].

قلت وهذا عجيب وغريب حيث إنه من الواجب على الباحث أن يسند الرواية لمن كان أسبق وجودا لو فرضنا اتحاد قائليها فما بالك لو وردت في كتب التفسير مسندة لواحد بعينه وهو أشهر من أن يبحث عن غيره فقد قال في الدر المنثور[٦]وأخرج أحمد عن مطرف بن الشخير رضي الله عنه قال: أما والله لو كان عند نبي الله شيء ما تبع مذقتها، ولكن حمله على ذلك الجهد.

---

[١] العجائب ٨٤٨/٢

[٢] العجائب ٨٧٨/٢

[٣] العجائب ٨٠٦/٢

[٤] أسد الغابة ٦٣٦/٢

[٥] العجائب ٨٦٧/٢

[٦] الدر المنثور للسيوطي ٤٠٧/٦

٤- عدم إلمامه بجميع عناصر الموضوع ولو كان مشهورا بل قد يذكر الخفي بل والضعيف فعند تعليقه على قول النقاش العذاب الأدنى غلاء الأسعار والعذاب الأكبر خروج المهدي قال والمهدي هو محمد بن الحسن العسكري.أبو القاسم آخر الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية وهو المعروف بالمهدي وصاحب الزمان والمنتظر والحجة ولد سنة ٢٥٦ [١] . فلا ندري لماذا يذكر المهدي الغير معروف لدى الكافة ويترك المهدى المنتظر الذي يحكم بالعدل بعد أن ملئت الأرض جورا.

[١] العجائب ٢/٩٠٧

كتاب غرائب القرآن ورغائب الفرقان

تأليف نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري المتوفى سنة ٧٢٨ هـ
تحقيق وتعليق دكتور حمزة النشرتي و الشيخ عبد الحفيظ فرغلي والدكتور عبد الحميد مصطفى
المكتبة القيمة القاهرة

فالتحقيق فيه غير دقيق ولم يأت المحقق بما يليق بمثل هذا الكتاب المفيد

ففي التخريج لا يحكم على الأثر بل قد يخرج من غير الكتب الأصلية
فقد خرج أثرا فقال أخرجه السيوطي في الجامع الصغير ولو رجع إلى فيض القدير لأثرى التحقيق بما هو مفيد[1] .

* ذكر رواية عن مقاتل بن سليمان ولم يحكم عليها ولم يفندها
*خرج حديثا نقلا عن القرطبي وابن كثير. وماذا لو حققهما ؟

كيف يخرج الآثار الواردة فيهما؟

* ذكر حديثا موضوعا خرجه من كتاب الأحاديث القدسية ونقل عنه كلاما غامضا لا يعرف العوام أن هذا الحديث موضوع مثل:
هو في الموضوعات الصغرى للهروي صـ١٤١،صـ٢٣٢ ونصه (كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت خلقا فعرفتهم بي فعرفوني)
قال وهو في تنزيه الشريعة وهذان الكتابان يتعلقان بالأحاديث الموضوعة فلابد من بيان ذلك لخفائه .

---

[1] غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٣ /٣٣ ، ٣/٥٠ ، ٣/٩٤، ١٣٣/٣ ،

ثم إن الإمام النيسابوري رحمه الله قد نزه تفسيره من الحديث الطويل الذي يروى عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ في فضل القرآن سورة فسورة.
بحث باحث عن مخرجه، حتى انتهى إلى من اعترف بأنه وجماعة وضعوه،وإن أثر الوضع لبّين عليه.ولقد أخطأ الواحدي المفسر، ومن ذكره من المفسرين،في إيداعه تفاسيرهم.[1] .

ووجدنا المحقق ينقله ويقول أنه في الكشاف وقال محققه كذا وهذا الذي يقول عنه محققه هو الحافظ ابن حجر الذي خرج أحاديث الكشاف وهو ذكر ما يفيد أن هذا الحديث موضوع.

وكذا الحال عندما يريد أن يذكر فضائل السورة ويعقب بقوله قال المعلق والمعلق هنا هو الحافظ ابن حجر[2] .

ذكر الزمخشري في تفسيره هذا الخبر- يعني خبر أنه خلا بمارية في يوم عائشة – وقد علق عليه أحمد بن المنير الاسكندري تعليق طريفا ارجع إليه في هامش مطبوعة الكشاف٥٦٢/٤ مطبعة الاستقامة أو في كتابه الانتصاف في شرح الكشاف

ويخرج أسباب النزول من كتب التفسير الأخرى يقول: ذكره القرطبي في تفسيره وكذا ابن كثير وقال: أخرجه الترمذي، وقال: حسن صحيح.
وعقبه أيضا ذكر رواية أخرى، وقال: أخرجه ابن كثير نقلا عن الإمام أحمد ...[3] .

---

[1] مقدمة ابن الصلاح صـ٤٧ .

[2] في مواضع كثيرة جداً عند تفسير أول كل سورة

[3] ١٨/١١، ٣٨/١١

تتمة مهمة

من مشاكل الطباعة أن القائم على الطباعة والنشر ولو كان مُحققاً لم يتقنوا العمل مع كتب التراث عامة وما يتعلق بالقرآن خاصة

أما شيخنا الأستاذ الدكتور عبدالغفور محمود مصطفى رحمه الله:
فقد ذكر أمثلة للدخيل بسبب عدم مطابقة رسم المصحف لقراءة الإمام المفسر كما في مصحف (القادسية) المفسر وهامش مصحف (دار الشروق) المفسر الميسر، و (مختصر الطبري) لابن صمادح

(وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا) نُحييها
وهذا ليس تفسير قراءة الزاي وإنما هو تفسير لقراءة الراء.

بل ثم ذكر أمثلة أخرى، ولكن المهم أنه رحمه الله ذكر أن كتاب تفسير الشوكاني لم يلتزم رسم الكلمات بما يوافق رواية قالون عن نافع وذكر عشرات الأمثلة،

بل نبه إلى عدم الدقة في ترقيم الآيات على عد أهل المدينة ومنهم نافع،

وكذا وقع في بعض الأخطاء من أشرف على طباعة كتاب التحرير والتنوير[1].

---

[1] التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد ص٢٢٦-٢٣٧ الناشر دار السلام

نصيحة للباحثين الذين يقومون بتحقيق المخطوطات

رأينا بعض الباحثين يقومون بتحقيق المخطوطات دونما الاعتماد على منهج للتحقيق لذا لخصت أهم ما يحتاجه من يقوم بتحقيق المخطوطات لا سيما في قسم التفسير فتحقيق كتاب في التاريخ غير آخر في اللغة أو الحديث وجعلت ذلك في الحاشية طلبا للاختصار ودفعا للاستطراد في نصائحنا لإخواننا الباحثين[1].

---

[1] بحث موجز عن عمل الباحث عند تحقيق المخطوطات :

أصول النصوص هي المخطوطات التي وصلت إلينا حاملة عنوان الكتاب واسم مؤلفه وجميع مادة الكتاب على آخر صورة رسمها المؤلف وكتبها بنفسه أو يكون قد أشار بكتابتها أو أملاها أو أجازها ويكون في النسخة مع ذلك ما يفيد إطلاعه عليها أو إقراره لها أمثال هذه النسخ تسمى نسخة الأم. ٢- وتلى نسخة الأم النسخة المأخوذة منها ثم فرعها ثم فرع فرعها وهكذا وهذا النوع من المخطوطات يُعد أصولا ثانوية وجد معها الأصل الأول وأما إن عُدم الأصل الأول فإن أوثق هذه المخطوطات يرتقي إلى مرتبته ثم يليه ما هو أقل منه وثوقا .٣-والنسخ المطبوعة التي فقدت أصولها أو تعذر الوصول إليها إذا تحققنا من الناسخ ووثقنا به هذه النسخ جديرة بأن تكون أصولا ثانوية وتُعد رواية المحققين لأصولهم إن لم نتمكن من الظفر بتلك الأصول رواية يُنتفع بها في مقابلة النصوص لأنهم مُنزلون بمنزلة الرواة الثقات ورواياتهم مُنزلة مَنزلة ما يسميه المحدثون بالوَجادة . ٤-أما الطبعات التي تخرج للتجارة ولا يقوم عليها محقق أمين فهي نسخ مهدرة بلا ريب ولا يُعتمد عليها في التحقيق .٥-أما المصورات من النسخ فهي بمنزلة أصلها .٦-المسودة هي النسخة الأولى للمؤلف قبل أن يهذبها ويخرجها سوية أما المبيضة فهي التي سويت وارتضاها المؤلف كتابا يخرج للناس في أحسن صورة . وهناك الكثير من العلامات التي تدل على أن تلك مسودة من كثرة الاضطراب في الكتابة واختلاط الأسطر. وإن ورد نص تاريخي على أنه لم يخرج غيرها كانت مبيضة المؤلف هي الأصل الأول، وإذا وجدت معها مسودته كانت المسودة أصلا ثانويا استثنائيا لتصحيح القراءة فحسب.٧-بعض المؤلفين قد يصدر كتابه أكثر من مرة مثل الجاحظ الذي كتب البيان والتبيان مرتين والثانية (أصح وأجود)لذا فإن نسخة المؤلف قد تتكرر ولا يمكن القطع بها ما لم ينص هو عليها وليس وجود خطه عليه دليلا على أنها النسخة الأم بل ذلك الأمر المتباري لا قطعي إذا اجتمعت لدينا نسخ مجهولات سلسلة النسب المبدأ العام أن تقدم النسخة ذات التاريخ الأقدم ثم التي عليها خطوط العلماء ولكن قد تكون النسخة الأقدم غير دقيقة من الناسخ فتقدم الأدق عليها مثل صحة المتن ودقة الكاتب قلة الإسقاط أو تكون النسخة مسموعة أثبت عليها سماع علماء معروفين أو مجازة قد كتب عليها إجازات من شيوخ موثقين .

جمع الأصول

على الباحث أن يجتهد في البحث عن أكثر مجموعة للمخطوطة حتى يغلب على ظنه أنه قد حصل على قدر صالح مما يريد فينظر في المراجع التي تدل على مواضع المخطوطات وينقب في فهارس المكاتب العامة وملحقاته ويسأل الخبراء بالمخطوطات – أن يعني باختلاف روايات النسخ وأن يثبت ما صح منها . فقد يجد في إحدى النسخ ما لم يجده في نسخة أخرى. وهذا واقع بالفعل وما خبر نسخ البخاري التي جمعها الحافظ بن حجر منا ببعيد وكذا الحال مع صحيح مسلم مع أنهما شراح للحديث ولم يقل واحد منهما اكتفي بنسخة كذا فما بالك بمن يكتب اسمه بخط أظهر من اسم المؤلف ولا يذكر إلا نسخة واحدة وقد تكون ناقصة فيكون تحقيقه ناقصا قبل لا أن يبدأ في التحقيق. فحص النسخ. ١-يفحص ورقها ليتمكن من تحقيق عمرها و لا ينخدع ما أثبت فيها من تواريخ.وقد ذكرت بعض الأخبار التي تبين حدوث التزييف سواء في الخط وتقليده أو الورق والجلد وفعل شيء يدل على قدمه

٢-ينظر في عنوان الكتاب وما يحمل في صدره من إجازات وتميلكات وقراءات

٣–قد يجد في ثنايا النسخة ما يدل على قراءة بعض العلماء أو تعليقاتهم
٤–ينظر إلى أبواب الكتاب وفصوله وأجزائه حتى يستوثق من كمال النسخة وصحة ترتيبها
٥–ينظر في خاتمة الكتاب لعله يتبين اسم الناسخ وتاريخ النسخ وتسلسل النسخة.

الجهود التي بذل عند التحقيق

١–تحقيق عنوان الكتاب فبعض المخطوطات يكون خاليا من العنوان لفقد الورقة الأولى أو انطماس العنوان أو يكون العنوان مخالف للواقع
٢–فعلى المحقق أن يعمل فكره في معرفة العنوان كأن يبحث في كتب المؤلفات أو نحو ذلك
٣–تحقيق اسم المؤلف لابد من التأكد من صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف وذلك بمراجعة فهارس المكتبات أو كتب المؤلفات أو كتب التراجم ويراعى أن هناك بعض العناوين متشابهة فيحذر الحذر الشديد في إثبات اسم المؤلف المجهول إذ لابد من مراعاة اعتبارات تحقيقيه ومنها المادة العلمية للنسخة و مدى تطويعها لما يعرفه المحقق عن المؤلف وحياته العلمية وعن أسلوبه وعصره وقد يحدث تحريف وتصحيف لأسماء المؤلفين المثبتة في الكتب ولابد من تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه فيجب أن تعرض هذه النسبة على فهارس المكتبات وكتب التراجم ونحوها لنستمد منها اليقين بأن هذا الكتاب صحيح الانتساب للمؤلف ومعرفة القدر العلمي للمؤلف يساعد في التحقيق بنسبة الكتاب ولكن هذا القياس غير مطرد
٤–تحقيق متن الكتاب

ومعناه أن يؤدي الكتاب أداء صادقا كما وضعه المؤلف كما وكيفا قدر الامكان فليس معنى تحقيق الكتاب أن نلتمس للأسلوب النازل أسلوبا هو أعلى منه أو نحل كلمة صحيحة محل أخرى صحيحة بدعوى أن أولاها أولى بمكانها أو أجمل أو أوفق أو ينسب صاحب الكتاب نصا من النصوص إلى قائل وهو مخطئ في هذه النسبة فيبدل المحقق ذلك الخطأ ويحل محله الصواب أو أن يخطئ في عبارة خطأ نحويا دقيقا فيصحح خطأه في ذلك ويوجز عباراته إيجازا مخلا فيبسط المحقق عبارته بما يدفع للإخلال أو أن يخطئ المؤلف في ذكر علم من الأعلام فيأتي به المحقق على صوابه. ليس تحقيق المتن تحسينا أو تصحيحا وإنما هو أمانة الأداء التي تقضيها أمانة التاريخ فإن متن الكتاب حكم على المؤلف وحكم على عصره وبيئته وهو اعتبارات تاريخية لها حرمتها كما أن ذلك الضرب من التصرف عدوان على حق المؤلف الذي له وحده حق التبديل والتغيير إن التحقيق نتاج خلقي لا يقوى عليه إلا من وهب خلتين شديدتين هما هما الأمانة والصبر وهما ما هما أما معالجة الخطأ فتكون في الحاشية أو آخر الكتاب.أما شواهد القرآن فيجب تصحيحها لما لها من التقديس ما يستدعي ذلك. أما نصوص الحديث فيجب أن تختبر بعرضها على مراجع الحديث وتعدد الروايات يدفعنا إلى أن نحمل المؤلف أمانة روايته فنبقيها كما كتبها المؤلف إذا تيقنا أنه كتبها كذلك ولندع للتعليق ما يدل على ضعف روايته أو قوتها أما النصوص الشعرية فيجب أن نتجه إلى مراجعها لنستعين بها في قراءة النص وتخريجه إن أمكن التخريج ويجب أن نحترم رواية المؤلف إذا أيقنا أن ما في النسخة هو ما قصده المؤلف وأراده لاسيما إذا كان يبني على تلك الرواية حكما خاصا فهذا قيد شديد يحرم على المحقق أثم يتناول النص بتغيير أو تبديل.

وعليه:معرفة الكتاب الذي يقوم بتحقيقه ، والإحاطة التامة بمنهج الكتاب ، وأسلوب مؤلفه الذي عرض به موضوع الكتاب ، ليفهم النص بكل وضوح عند التخريج. ملخص من كتاب تحقيق النصوص ونشرها للعلامة المحقق عبد السلام هارون الناشر: مكتبة الخانجي

نصائح لمن أراد أن يكتب بحثاً أو يحقق كتاباً

كثيراً ما يسأل إخواننا الباحثون كيف أكتب وكيف ارتب المباحث

فهذه بعض ما أكرمني الله بجمعه من مقدمات الرسائل أو مقالات لكبار الباحثين أو نصائح من أساتذة أجلاء لتلاميذهم أو ما يعرف بكثرة مطالعة الرسائل والكتب المحققة فنقول وعلى الله التكلان.

* على الباحث أن يطلع على كتب آداب طالب العلم حتى يتخلق بأخلاقهم ويتشبه بهم، ويكون قدوة حسنة لغيره من طلبة العلم ومن تلك الكتب النافعة كتاب إحياء علوم الدين للغزالي وكتاب المجموع للنووي وحلية طالب العلم لبكر بن عبد الله أبو زيد.

* بعض الباحثين قد يتسرع في اختيار موضوع الرسالة وهو لا يعرف عنها شيئاً بل جُل همه هو التسجيل وقد رأينا من زملائنا من تعثر في إتمام بحثه؛ لأنه لم يدرس الموضوع كما ينبغي وحل هذه المشكلة أن يقوم الباحث بجمع مادة تؤهله لمعرفة الموضوع وأهميته ومدى استيعابه وإتقانه وإبداعه في بحثه،بل وينظر في توفر المراحع وكيفية الحصول عليها.

*بعض الباحثين يشرح ما لا يحتاج لشرح وبعضهم يعرف ما لا يحتاج لتعريف
فمثلا تعريف التفسير والفرق بينه وبين التأويل تجده في أغلب الرسائل في موضوع كانت هذه الرسالة
فالأفضل أن يختصر ذلك ولا يذكر إلا ما يفيد
والحديث عن الإسرائيليات وضررها ورواتها و و ... فضلاً عن ذكر تعريف كل كلمة وردت في عناوين الرسالة ،وترجمة كل علم ورد فيها فهذا مما يوصي بالاختصار والاكتفاء بما يفيد ولنا في سلفنا الأسوة انظر إلى دقة عباراتهم وقلة كلامهم فنحن نقتدي بهم قال الحافظ ابن حجر: قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْر بْن الْعَرَبِيّ : بَدَأَ الْمُصَنِّف–أي البخاري في صحيحه– بِالنَّظَرِ

فِي فَضْلِ الْعِلْمِ قَبْلَ النَّظَرِ فِي حَقِيقَته ، وَذَلِكَ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّهُ فِي نِهَايَة الْوُضُوح فَلَا يَحْتَاج إِلَى تَعْرِيف ، أَوْ لِأَنَّ النَّظَرَ فِي حَقَائِق الْأَشْيَاء لَيْسَ مِنْ فَنّ الْكِتَاب ، وَكُلّ مِنْ الْقَدْرَيْنِ ظَاهِر ؛ لِأَنَّ الْبُخَارِيّ لَمْ يَضَع كِتَابَة لِحُدُودِ الْحَقَائِق وَتَصَوُّرهَا ، بَلْ هُوَ جَارٍ عَلَى أَسَالِيب الْعَرَب الْقَدِيمَة ، فَإِنَّهُمْ يَبْدَءُونَ بِفَضِيلَةِ الْمَطْلُوب لِلتَّشْوِيقِ إِلَيْهِ إِذَا كَانَتْ حَقِيقَته مَكْشُوفَة مَعْلُومَة . وَقَدْ أَنْكَرَ اِبْن الْعَرَبِيّ فِي شَرْح التِّرْمِذِيّ عَلَى مَنْ تَصَدَّى لِتَعْرِيفِ الْعِلْم وَقَالَ : هُوَ أَبْيَن مِنْ أَنْ يُبَيَّن . قُلْت : وَهَذِهِ طَرِيقَة الْغَزَالِيّ وَشَيْخه الْإِمَام أَنَّ الْعِلْم لَا يُحَدّ لِوُضُوحِهِ أَوْ لِعُسْرِهِ [1] .

فهؤلاء الأئمة يحثون على الاختصار والدخول في الموضوع الأصلي مباشرة.

* بعض الباحثين يستطرد في ذكر مسألة ما ويكثر من التفريعات والتحليلات وهو يقول نحن الآن بصدد تحرير محل النزاع وهو قد أخرجنا من صلب المسألة المعنية إلى تحرير محل النزاع الذي قد يتركه لبحث آخر ومنهم من يكثر من التحليل والتدقيق في بيان المصطلح ويناقش المصطلح ذاته وقد يكون الموضوع من باب لا مشاحة في الاصطلاح ولكل قوم اصطلاحهم مثل مسألة التفسير والتأويل فعلى الباحث أن يختصر ويقول لهذا المصطلح أكثر من معنى والذي يعنينا هو كذا ولو كان الباحث يناقش في مبحث ما والخلاف لفظي عليه أن يبين ذلك من خلال لا مشاحة في الاصطلاح.

* ولو أن أحد العلماء كان له اصطلاحه الخاص به يُنبه الباحث إلى ذلك حتى لا يتهم أحداً بالخطأ وهو المقصر مثل كلمة حرف قد يراد بها الكلمة وقال الزركشي: وحيث قال المفسرون قال أصحاب المعانى فمرادهم مصنفو الكتب في معاني القرآن كالزجاج ومن قبله وغيرهم وفى بعض كلام الواحدي أكبر أهل المعاني الفراء والزجاج وابن الأنباري قالوا كذا كذا ومعانى القرآن للزجاج لم يصنف مثله وحيث أطلق المتأخرون أهل المعاني فمرادهم بهم مصنفو العلم المشهور- أي البلاغة- [2].

---

[1] الفتح ٢٠٧/١ الناشر دار مصر للطباعة

[2] البرهان في علوم القرآن ١٤٦/٢، ١٤٧

*وقد يجد الباحث أن أئمة التفسير عند تفسيرهم للآية يذكرون نفس العبارة أو قريبا منها ، فحري بالباحث أن ينتقي أفضل تلك التفسيرات ويذكر في الحاشية المرجع الرئيس ثم يقول مثله أو نحوه تفسير كذا وتفسير كذا لأننا وجدنا نفس الكلام ينقل من عدة تفاسير ولا فائدة في كثرة النقول وإنما الفائدة في تنوع النقول وإثراء التفسير بالحقائق، نعم قد يحتاج الباحث إلى إثبات صحة ما ينقل أو ترجيح ما يختار ولكن ليس بالنقل الحرفي بل بالاختصار تارة وبالإحالة إلى التفاسير الأخرى تارة. وقد قال علماؤنا من العلم التحاشي عن العلم وكثرة الكلام ينسي بعضه بعضا.

*بعض الباحثين يذكر عشرات المراجع عند كتابته لبحث لا يحتاج لكل هذه المراجع وكأنه يتباهى بكثرة المراجع فمثلا تجده يترجم لابن عباس من مرجع ويترجم لابن عمر من مرجع آخر ولو كانت ترجمته في نفس المرجع السابق وهذا نوع من التدليس والتمويه التدليس بأنه اطلع على الكثير من المراجع وقد يوهم القارئ بأن ترجمة ابن عمر لم يجدها الباحث في المرجع السابق أو توجد ولكنها ناقصة فهذا لا يليق بالباحث الأمين و قد تجد الباحث يذكر لك عدة مراجع مع أنه لم ينقل سطراً كاملاً كي يحيل إلى كل هاتيك المراجع.فمثلا رواية في البخاري تجدها يخرجها من الكتب الستة بل وقد يزيد إلى المسانيد والمستخرجات وكتب المتأخرين بل قد يذكر كتباً لا علاقة لها بمتون الحديث بل ذكرته استشهاداً لا رواية .

* عند تخريج الروايات يراعى الاختصار عند كتابة المرجع فمثلا يقول: أخرجه البخاري، ولا داعي لأن يقول أخرجه البخاري في صحيحه بسنده...

ولكن هنا تنبيه ليس كل ما في البخاري موصولاً بل فيه المعلقات[1] فعليه أن يقول عن المعلق رواه البخاري معلقا وهذا لابد منه ثم يقول وصله أحمد مثلا في مسنده وسنده صحيح أو حسن أو وصله فلان كما بين ذلك ابن حجر. فيستفاد من جهد ابن حجر في بيان من وصل معلقات البخاري.

---

[1] فأغلب ما في كتاب التفسير من أقوال الصحابة والتابعين من المعلقات كما لا يخفى

كما أنه حري بالباحث أن يستفيد من تخريجات العلماء من كتبهم النافعة كمجمع الزوائد فإنه جم الفوائد. ولا ندري ما معنى أن يقول لنا أخرجه الطبراني ولا يفيدنا بقول الهيثمي مثلا أخرجه الطبراني وسنده صحيح أو نحو ذلك.

وكذا تعقيب الذهبي على الحاكم فنجد من يقول رواه الحاكم وصححه ولا يذكر لنا ماذا قال الذهبي هل أقره أم تعقبه. وكذا تعقيبات المناوي على السيوطى كما في فيض القدير.

* عند ذكر الشعر : يُكتفى بالتخريج من الدواوين الشعرية المطبوعة المحققة ، أو المجموعة ، والإشارة إلى الخلاف في الرواية ، إن وجد ، إذ لا حاجة لسرد المصادر التي جاء فيها هذا البيت أو ذاك ، فهي كثيرة ، ولا يمكن حصرها وهو بعدُ يؤكد رجوع المحقق إلى الدواوين ، للوقوف على الرواية الصحيحة أولاً ، وعلى مصادر تخريج البيت في الديوان ثانياً.

* وعند ذكر الأعلام ينصح بعدم ترجمة المشهورين كأبي بكر وعمر وابن عباس مثلاً ، ويفضل أن تكون الترجمة موجزة مفيدة في بابها،يرجع إلى المصادر المتخصصة فالبعض يكتفي بالإشارة إلى الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، المتوفى سنة ١٩٧٦م —والزركلي به أخطاء كما أنه قومي غريب[1] ، أو إلى معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة ، المتوفى سنة ١٩٨٧م.

وهناك من يرجع إلى الأعلام مرة،وإلى كشف الظنون ثانية ، وإلى ميزان الاعتدال ثالثة ، وهكذا.

والأولى الرجوع في تراجم الصحابة إلى التي اختصت بتراجمهم وكذا الرجوع في تراجم المفسرين والمحدثين إلى الكتب التي خُصصت لتراجمهم.

---

[1] فهو كما قال الشيخ أبو بكر زيد عضو حزب الاستقلال العربي فيه نفس قومي حاد وهو القائل

لو مثلوا لي موطني وثنا *** لهممت أعبد ذلك الوثنا

لهذا لم يترجم —حسب التتبع– لأحد من سلاطين الدولة العثمانية ...كيف يترجم للأعلام– وفيهم الكفار والضلال من أهل القبلة ويترك تراجم دولة عاشت نحو سبعة قرون هذا وللأستاذ محمد أحمد دهمان مقال ذكر فيه بعض أوهام الزركلي في الأعلام ولي ضعفها...ومنها قوله في أبي بن كعب– رضى الله عنه–كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود أزهد وحاشا أبيا ذلك.فلعله انقلب على الزركلى كعب الأحبار فالله أعلم ."كتاب الردود للشيخ بكر أبو زيد ص٢٠٦.

* عند بيان الغريب

لا يعتمد على كتب المعاجم والقواميس وكتب غريب القرآن وحدها عند تفسير كلمة أو جملة أو آية من القرآن الكريم

فقد يوجد تفسير مأثور مرفوع لم تذكره هذه الكتب أو ذكرته مع عدة أقوال من غير ترجيح؛ لأن التفسير بالمرفوع ينحي ما عداه ولو قول لصحابي فهو أولى بأن يذكر

ولا مانع من ذكر ما تقضيه اللغة بيد أن الصحابي أدرى باللغة وبالقرآن ممن أتى بعده فقد تذكر هذه الكتب المعاني دون أن يكون مقصدها تفسير القرآن فإذا أخذ هذا الكلام وعرض على قواعد التفسير وشروطه ضرب عنه صفحاً لبعده عن الصواب.

كتب اللغة تذكر معنى الكلمة قريباً أو بعيداً حقيقة أو مجازاً، هل هو من قبيل المشترك أو المترادف؟

فكل ذلك يوضع في موضعه حتى لا يتطرق الدخيل في التفسير؛

لذا فالأولى أن ينظر في كتب التفسير التي اهتمت باللغة حتى يستبين السبيل ويتضح الطريق ويكون التفسير محموداً مقبولاً إن شاء الله تعالى .

المبحث الثالث

تنبيهات قبل قراءة كتب التفسير

لكل مفسر طريقة اتبعها عند تفسيره ، وضعها واتبعها، أو وضعها غيره واتبعها هو .ومن ألّف تفسيراً ولم يبين لنا منهجه فإننا نستطيع أن نتأمله فنعرفه .. ولكن لا بد من وضع التفسير كله تحت القواعد التي يجب اتباعها وننظر في تفسيره هل اتبعها أم تفلتت بعضها من تفسيره لأمر ما.

قد يذكر بعض المفسرين شروطا لتفسيرهم

كأنه يستدل بالصحيح، وبالاستقراء نقول قد يتركوا هذا الشرط فلا يكون مستند الباحث على صحة الدليل أن المفسر قد شرط على نفسه صحة سند ما يستدل به

وعلى سبيل المثال انظر مقدمة تفسير ابن أبي حاتم ومقدمة تفسير القرطبي وقارن بين شرطهما هذا وبين ما استدلا به من أقوال رحمهما الله تعالى.

ليس كل قول ينسب للجمهور هو الراجح؛

لأن الجمهور قد ينقلون عن أهل الكتاب ولا مجال لترجيح قولهم لأجل ذلك بل قد يرد قولهم

فالجمهور قالوا الذبيح هو إسحاق والحق خلاف ذلك

وقد يكون قولهم تقليدا لأحد السلف مثلا وقوله مخالف لمن هو أرجح منه

فالجمهور قالوا إبليس من الملائكة والمحققون بينوا أن الراجح كونه من الجن كما في سورة الكهف[1].

[1] كما أخبرنا بذلك شيخنا الدكتور إبراهيم خليفة حفظه الله.

قد يقبل التفسير الجديد مع التفسير بالمأثور من السلف

حيث لا تضاد و بينهما الحبل ممدود والخير إلى يوم القيامة موجود، لحفظ الله لكتابه

قال الألوسي :... على أنه تبين في الأصول أن استنباط تأويل جديد في الآية لم يذكره المتقدمون جائز[1].

بشرط ألا يتزيد على تفسير الرسول ﷺ يعني لو حدد النبي أمراً لا ينظر إلى غيره أمّا لو ذكر مثالاً فمن الممكن أن يُوضح مثله أو يدخل مع ذلك المثال شبيهه.

حيث لا تفسير مع تفسيره.

لا ترد الأقوال لأجل قائليها

فمثلا لا يقال هذا باطل لأنه قول الشيعة أو المعتزلة فقد يكون هذا القول راجحا في نفسه لقرائن أخرى.

اصطلاحات للمفسرين

الباء إما للاستعانة كما تقول كتبت بالقلم أي مستعيناً به في كتابتك وأهل التفسير يطلقون على هذه الاستعانة – تأدباً معه تعالى –: التبرك والمعنى على هذا هو الاستعانة والتبرك في تحصيل ذلك الفعل باسم الله تعالى.[2]

هناك بعض العبارات المتداولة في كتب التفسير الأولى تركها نحو تلك الكلمة زائدة أو هذا تكرار لما سبق

أما التكرار فلابد أن يكون له حكمة بينة إذا اختلف الشئ ذاتاً أو اعتباراً، فلا تكرار ومن الاختلاف الاعتباري اختلاف المتعلق.فمثلاً اختلف ما تعلق به"فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" فلا يكون ذلك من التكرار حقيقة.وقد قال الإمام ابن جماعة :إن في إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة و أساليب مختلفة ما لا يخفى من الفصاحة أن الله تعالى أنزل هذا القرآن وعجز

[1] روح المعاني ٤/٢٣٦

[2] تفسير سورة الفاتحة للأستاذ الدكتور إبراهيم عبدالرحمن خليفة. ص ١٥٣

القوم عن الإتيان بمثله ثم أوضح الأمر في عجزهم بأن كرر ذكر القصة في مواضع إعلاماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاءوا وبأي عبارة عبروا[1].

لا يجوز أن يقال (حكى الله)؛

لأن الحكاية الإتيان بمثل الشيء وليس لكلامه تعالى مثل، وإن تساهل قوم فأطلقوا لفظ الحكاية بمعنى الإخبار[2].

وإن وردت العبارة في كتب الإمام الشافعي فإن مدلولها بعد عصره دل على أمر غير ما كان يقصده الشافعي – وهذا ما قاله لي شيخنا الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد حفظه الله –، أما من ذكره ممن هو متأخر عن الشافعي فهو تساهل منه.

كما أننا نجد من يفسر خطاب الله للنبي ﷺ يقول: أي يا محمد فإننا إذا فسرنا القرآن بالقرآن لقلنا أي يا أيها النبي فالله جل في علاه لم يخاطب نبيه باسمه فلنفسر القرآن بالقرآن ولنكرم خير الأنام عند ذكر اسمه أو ذكر ضميرا راجعا إليه ﷺ.

* زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى – غالباً – وقد يكون نقص المبنى يدل على زيادة المعني نحو حذر وحاذر فالأول مع نقص مبناه عن الثاني صيغة مبالغة وهي أبلغ في المعنى وأدل على زيادته من الثاني الذي هو اسم فاعل[3]

لكل فن علماؤه المحققون

فلا يُخطئ عالم بفن علماء فن آخرين لأنهم تمرسوا في علمهم وحققوا مسائله ونهلوا منه أكثر من غيرهم فهم أدرى من غيرهم بخباياه وهم أحكم في مسائله الخلافية أما أن يتهجم ممن قرأ قشره أو علم ظاهره ثم يأتي ويخطأهم فإن التجربة تقول إنه هو المخطئ لا هم .

---

[1] معترك الأقران ٢٦٣/١ وسوف نتحدث عن الزائد لاحقاً إن شاء الله تعالى.

[2] الإتقان في علوم القرآن ١٩٩/٤

[3] تفسير سورة الفاتحة للأستاذ الدكتور إبراهيم عبدالرحمن خليفة. ص ١٥٤

ولكن قد يجمع الله لإمام التمكن في أكثر من علمه فهذا يدقق في كليهما ويفيد في بيان الخلاف ويوضح الحق لعلمه الخاص

فمثلا الرازي له في علم الكلام باع كبير وله في التفسير علم دقيق فيفيد في كليهما بلا شك، وأبو حيان مثله في النحو والتفسير والقاضي أبو بكر بن العربي كان في الفقه والحديث والتفسير وابن حجر كان إماما في أغلبها ﷺ فمثل هؤلاء يؤخذ عنهم ويقتدى بهم.

أما أن يأتي من يقوم بالتفسير العلمي مثلا فيرد ما لا علم له به فكلامه هو أولى بالرد.
وكذا من يأتي ويشكك في القراءات وهي علم له أهله فما قبلوه قبلناه وما ردوه رددناه وكيف يرد عليهم وهو لم يدرس دراستهم ولم ينبغ نبوغهم وكذا من يأتي ليرد الأحاديث.

فالعجب لمن يقول إن القراء لم يتقنوا نطق كلمة كذا أو أن تحريهم في ضبط التواتر غير محرر أو أنهم أخطأوا في عد تلك القراءة من المتواتر أو من الشواذ.

وكذلك نعجب ممن يرد بعض الأحاديث التي تلقاها أهل الحديث بالقبول خلفا عن سلف، وكذا من يأتي بحديث رفضه أهل الحديث فيقول وأرى صحته وقبوله.
وكذا من يأتي على مسألة مشهورة من مسائل الفقه التي تكاد لا نجد لها خلافا في كتب الفقهاء فيأتي من يزعم التجديد ويقول أين دليلهم وكيف فهموا ذلك.وكذلك في النحو لا علم له بقواعده ثم يتطاول على أئمة اللغة.

نعم هناك فرق بين الدين أو الشريعة وبين فهم المسلمين لها ولكن هل ذلك دليل على جواز التجرؤ على تراث بني خلال ١٤٠٠ عام.
منهج التفسير الموضوعي : لن نطيل الكلام هنا فيرجع إلى كتاب المدخل إلى التفسير الموضوعي للعلامة الشيخ الدكتور عبدالستار فتح الله سعيد فقد أفاد وأجاد كما نصح به الأساتذة الكرام .

الفصل الثاني

المبحث الأول

قواعد التفسير تطبيقا

القرآن الكريم عربي

معنى عربية القرآن

القرآن الكريم عربي وسما على العربية وانتقى أحسنها وأعذبها وأرقها وأفصحها .. وتنزه عن مثالب العربية وعيوبها ففي طرائق العرب ترك الأولى وإلقاء الكلام على عواهنه؛ لذا لا يجوز أن نقيس الكتاب المعجز بغيره أو أن يغفل عن خصائصه المتفردة.

والقرآن منزه عن كل مثالب اللسان العربي بل واللغات البشرية جميعا فاللسان العربي في باب الشرائع هو مجرد قالب للشريعة تشكله حسبما تريد من المعاني والأغراض ومن ثم فهو مقيد باصطلاحاتها والسنة النبوية تأتي محددة للمعنى المقصود مما يحتمله اللفظ من معان في لغة العرب بل قد تنقل الشريعة لفظاً عربياً عن معناه إلى آخر تصطلح عليه غير مسبوقة إليه وقد تخصص العام من كلام العرب وغير ذلك مما تكثر أمثلته كلفظ الليل الذي يعني به الظلام أو ما يقابل النهار في كلام العرب ويراد به زمن مخصوص في تشريع الصيام أوله غروب الشمس وبه فسر قوله تعالى(ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) البقرة١٨٧.

معنى أُمية الشريعة

ليست الشريعة (بالأُمِّيةِ)على النحو الذي وصفه الإمام الشاطبي، بل هي شريعة معجزة للعالمين، نزلت بلسان الأميين فسمت عن مثالبهم، بل سمت بأساليبهم وواقعهم، وجاءت على وجه الكمال في معناها ومبناها جميعا، ووصف العرب بالأمية ولكن الشريعة لم توصف بها ألبتة[١].

[١] المنهاج القرآني في التشريع للأستاذ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد صـ٧٢٠-٧٢٧ .دار النشر والتوزيع الإسلامية الطبعة الأولى ١٤١٣-١٩٩٢.

تحقيق القول فيما قيل إنه غير عربي[1]

بادئ ذي بدء نقول لا يُوثق بكل قول يُنسب إلى السلف، فقد يكون مكذوباً عليهم.

وكذلك لا يشترط صحة كل قول نسب إليهم، فلا عصمة إلا للنبي ﷺ، هذا ما تعلمناه من شيوخنا، بل ومن بديهيات علومنا.

فهاك مثلاً شنع به ابن العربي على قائله وهو يستحق ما قاله ابن العربي وأكثر:
ففي تفسير قوله تعالى:(إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ)
الزَّقُّومُ: كُلُّ طَعَامٍ مَكْرُوهٍ، يُقَالُ: تَزَقَّمَ الرَّجُلُ إذَا تَنَاوَلَ مَا يَكْرَهُ.
قال:وَيُحْكَى عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ الزَّقُّومَ هُوَ التَّمْرُ وَالزُّبْدُ بِلِسَانِ الْبَرْبَرِ، وَيَا لِلَّهِ وَلِهَذَا الْقَائِلِ وَأَمْثَالِهِ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْكِتَابِ بِالْبَاطِلِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ[2].

ولو وجدنا روايات عن سيدنا زيد بن ثابت ﷺ الذي تعلم السريانية لكانت أولى بالقبول ولو كانت تلك الروايات عن مسلمة أهل الكتاب لقلنا عن معرفتهم بلغات السابقين ولكنها تروي عن التابعين وعن راو واحد تروي روايات كثيرة تتحدث عن عدة لغات مما يجعلنا نفقد الثقة فيها رواية ودراية.

ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم لا توجد فيه جُمل، غير عربية.

هذا وقد ذهب الإمام الشافعي وابن جرير الطبري وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر وابن فارس وغيرهم من المحققين إلى القول بعدم وقوع المعرَّب في القرآن الكريم.

---

[1] وللسيوطي شغف في التوسع والإسهاب في الحديث عن المعرب فله : المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، والمتوكلي فيما وافق من العربية اللغات الأعجمية. وفي الإتقان ومعترك الأقران والمزهر بل والدر المنثور الكثير والكثير ما قيل بعجمته. أو أنه من المعرب.

[2] أحكام القرآن ٤/١٦٩١

ومقصودهم أنه ليس في القرآن شيئاً من الألفاظ الأعجمية التي لا يعرفها العرب ولا استعملوها في لغتهم قط فالكلمة الأعجمية المجهولة اللفظ والمعنى لا توجد في القرآن أصلاً.وأما ما استعملته العرب في جاهليتهم وعربته وغيروا منطقه على أنحاء شتى حتى زل لألسنتهم و لان وانقاد لطبيعة لغتهم فما نزل القرآن إلا وله من لغتهم العربية الأصل منها سواء بسواء.[1].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَمَنْ جِمَاعِ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ الْعِلْمُ بِأَنَّ جَمِيعَ كِتَابِ اللَّهِ إِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِ الْعَرَبِ ... وَالْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَى أَنْ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا بِلِسَانِ الْعَرَبِ.
قَالَ اللَّهُ ﷻ:(وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣)عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنْ الْمُنْذِرِينَ(١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥)سورة الشعراء .
وَقَالَ اللَّهُ ﷻ: (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا)٣٧:سورة الرعد.
وَقَالَ تَعَالَى:(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا)٧:سورة الشورى.

فَأَقَامَ حُجَّتَهُ بِأَنَّ كِتَابَهُ عَرَبِيٌّ، ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ بِأَنْ نَفَى عَنْهُ كُلَّ لِسَانٍ غَيْرَ لِسَانِ الْعَرَبِ، فِي آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)١٠٣:سورة النحل.
وَقَالَ تَعَالَى: (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ)٤٤:سورة فصلت...
وَالَّذِي يَنْطِقُ الْعَجَمَ بِالشَّيْءِ مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ، فَلَا يُنْكَرُ إِذَا كَانَ اللَّفْظُ قِيلَ تَعَلُّمًا، أَوْ نُطِقَ بِهِ مَوْضُوعًا أَنْ يُوَافِقَ لِسَانَ الْعَجَمِ أَوْ بَعْضَهُ قَلِيلٌ مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ فَبَسَطَ الْكَلَامَ فِيهِ [2].

---

[1] مستفاد من الإحسان لشيخنا الأستاذ الدكتور إبراهيم عبدالرحمن خليفة.صـ١٨٦، ١٨٧ . والاتقان ٨٨/٢ وحاشية العطار على شرح جمع الجوامع لجلال الدين المحلى ومعه تقريرات العلامة الشربيني على حمع الجوامع "جمع الجوامع لابن السبكي ٤٢٦/١، ٤٢٧ الناشر دار الكتب العلمية بيروت.

[2] الرسالة ص ٤١، ٤٢ و أحكام القرآن للشافعي جمع الإمام البيهقي صـ٢٢، ٢٣

والعجيب أننا نقرأ أن كلمة كذا بحرف كذا– غير لسان قريش – معناه كذا غير المعنى الذي نعرفه من قواميس اللغة وهذا سوف يبلبل أفكارنا بل ويشككنا في معارفنا ويورث دخلاً في التفسير.

مثال غريب في الإتقان

(وأخرج — أي ابن أبي حاتم – عن محمد بن علي في قوله تعالى (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) قال: هي بلغة طيء ابن امرأته.

قلت: وقد قرئ – ونادى نوح ابنها –.

فهل يقبل مثل هذا الدخيل في التفسير؟[1].

يقول شيخنا العلامة الأستاذ الدكتور إبراهيم خليفة– ونعم ما قال[2] –: لا أفهم من لسان قريش ونحوه ما حلا للطبري وشيعته أن يفهموه منها من اختلاف جوهر الألفاظ وتعددها مما يقتضي تناكر ألسنة العرب وعدم ائتلافها ...

وإنما الذي أفهمه من تعدد ألسنة العرب واختلافها ونسبة كل إلى قبيلة بعينها هو اختلاف اللهجات الراجعة إلى كيفية النطق بجوهر اللفظ فحسب.

ومن هنا فإني أعيب صنيع الذين جشموا أنفسهم ما لا دليل لهم عليه ولا حاجة اضطرتهم إليه من تعداد ألفاظ زعموا أنها جاءت في القرآن بغير لغة الحجاز وعقدوا لذلك نوعا مخصوصا في كتبهم كالزركشي في البرهان والسيوطي في الإتقان

حتى عدوا سبعا وثلاثين لغة وهو لعمر الحق هراء ينبغي أن يتنزه عنه من دون هؤلاء بدرجات وألا تسود بمثله الصفحات ولا أحسب إلا أن الاتفاق في جوهر اللفظ هو الذي سوغ أن ينتظم الجميع وصفاً واحداً هو وصف العروبة في نحو قوله(قُرْآنًا عَرَبِيًّا)يوسف :٢ والزخرف٣.

---

[1] الإتقان النوع السابع والثلاثون فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز ٢/٨٨-١٠٤ ولا يعتمد على مثل تلك الأقوال في تفسير القرآن سلمناه صحيحا فلا يجوز أن يفسر به القرآن لأنه ليس فصيحاً.

[2] وفي الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس باب القول في اختلاف لغات العرب ففيه مصداق ما قاله حفظه الله

وأن يعبر عنه باسم واحد وعنوان واحد هو (لسان عربي) على ما في قوله تعالى من سورة النحل (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ١٠٣).
وقوله من سورة الشعراء (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣)عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ(١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥).
ولو اختلف جوهر الألفاظ لجمع اللسان وما وحده على نحو ما قال سبحانه وتعالى في سورة الروم(وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (٢٢).
على أن القرآن العظيم لم يتوعب جميع لهجات العرب و إنما اصطفى منها ما يخف على اللسان ولا تنفر منه الآذان... .[1]
هذا كلامه حفظه الله عند حديثه عن لغات العرب فماذا يقول عن وجود العجمة في القرآن؟

لاشك أنه سيرفض هذا القول الشنيع؛ فالقائلون بوجود المعجم قلة من المتأخرين مخالفين بذلك أعلام الأئمة من المتقدمين كابن جرير وأبي عبيدة والشافعي، ثم إن دليلهم الذي استدلوا به أثر مقطوع على أبي ميسرة التابعي وهو لا يقدر على معارضة القرآن، وما قرره أئمة السلف في ذلك.
ثم إن راويه — ابن جرير– فسره بما يوافق أئمة المحققين.
فقال: معنى قول من قال: في القرآن من كل لسان– عندنا بمعنى، والله أعلم: أنّ فيه من كلّ لسان اتفق فيه لفظ العرب ولفظ غيرها من الأمم التي تنطق به... وذلك أنه غيرُ جائز أن يُتوهّم على ذي فطرة صحيحة، مقرّ بكتاب الله، ممن قد قرأ القرآن وعرف حدود الله –أن يعتقد أنّ بعضَ القرآن فارسي لا عربيّ، وبعضه نبطي لا عربيّ، وبعضه روميّ لا عربيّ، وبعضه حبشي لا عربي ، بعد ما أخبر الله تعالى ذكرُه عنه أنه جعله قرآنًا عربيًّا... وإذا كان ذلك كذلك، فبيِّن إذًا خطأ من زعم أن القائل من السلف: في القرآن من كل لسان، إنما عنى بقيله ذلك، أنّ فيه من البيان ما ليس بعربيّ، ولا جائز نسبته إلى لسان العرب[2].

[1] الإحسان في مباحث من علوم القرآن ص١٨٣-١٨٧
[2] الطبري ٢/١٤-١٩ وكا إبطال مزاعم

فعلينا أن نعيد البحث في كل كلمة قيل بعجمتها فنتثبت ونحقق الكلام قبل النطق به فنحافظ على هيبة عربية القرآن فإننا إذا راجعنا كل كلمة على حدة لوجدنا أن الكلمات التي قيل بأنها من المعرب لوجدناها كلمات معدودة.

هل تصدق أنه قيل بعجمة: (ابلعي و طه ويس و الصراط و سجدا وهونا وجهنم كورت حرم والأب و يصهر وحصب و أوبي و الرحمن وشطر البيت وطفقا وهدنا ويحور)[1].

وهذا الدكتور محمد تقي الدين الهلالي – رحمه الله- يرد على هؤلاء وهاك مثال لما رده قال رحمه الله:

وإن تعجب فعجب قولهم إن (ابلعي) بلغة أهل الهند وهذا القول إلى الهزل أقرب منه إلى الجد وقائله ليس أهلاً أن يؤخذ عنه العلم و إنما هو يهرف بما لا يعرف وأهل الهند أجناس كثيرة لهم مئات من اللغات ولا تكاد تسير مسافة يوم إلا وجدت جنسا آخر له لغة أخرى.

وفي زماننا هذا نرى الدماء تسفك بينهم بسبب اللغات؛ فلا يرضى جنس أن تكون لغة الدولة لغة أخرى غير لغته، على أن (بلغ) كلمة عربية سامية أصيلة عريقة في عروبتها وساميتها وترفع راية اللغات السامية وهي حرف العين.

ومن المعلوم عند علماء اللغات أن العين والحاء لا توجدان إلا في اللغات السامية، فان وجدت إحداهما في كلمة من لغة غير سامية فتلك الكلمة طارئة واردة على تلك اللغة[2].

---

[1] فتح الباري ١٤٣/٨، ١٤٤والإتقان ١٠٨/٢-١٢٠

[2] http://www.alhilali.net/?c=3&p=2&f=40&a=ard

في حوار مع المهندس عبد المنعم حسين الغروري الذي أمضى ما يزيد على ربع قرن من البحث اللغوي ذكر أن كلمة إبليس لفظ عربي أصيل نحته العربي"أبى + أبلس " وهو ممنوع من الصرف للعلمية المزجية لا للعجمة.

قال تعالى إلا إبليس أبى".

هذا وقال ابن حجر إِبْلِيس اِسْم أَعْجَمِيّ عِنْد الْأَكْثَر، وَقِيلَ : مُشْتَقّ مِنْ أَبْلَسَ إِذَا أَيْأَسَ قَالَ اِبْن الْأَنْبَارِيّ: لَوْ كَانَ عَرَبِيًّا لَصُرِفَ كَإِكْلِيلٍ، وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: إِنَّمَا لَمْ يُصْرَف وَإِنْ كَانَ عَرَبِيًّا لِقِلَّةِ نَظِيره فِي كَلَام الْعَرَب فَشَبَّهُوهُ بِالْعَجَمِيِّ ، وَتُعُقِّبَ بِأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ مَوَانِع الصَّرْف [1] .

قال ابن كثير ومعنى قوله: (أَوِّبِي) أي: سبحي.

قاله ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد.وزعم أبو ميسرة أنه بمعنى سَبّحي بلسان الحبشة.

وفي هذا نظر، فإن التأويب في اللغة هو الترجيع، فأمرت الجبال والطير أن ترجع معه بأصواتها[2] .

---

[1] جريدة صوت الأزهر الجمعة ٢٠ من رجب ١٤٢٨ ٣ من أغسطس ٢٠٠٧ صـ ٩. العدد"٤١٠". فتح الباري ٤٧٤/٦

[2] ابن كثير ٤٩٧/٦

شبهة تفسير القرآن بالهيروغليفية

لم ننته بعد من تحقيق القول فيما قيل إنه معرب فإذا بطامة أخري تظهر في عصر الجُرأة على الدين فقال قائلهم إنه يفسر القرآن باللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية)!.

ولا يخفى علينا أهمية التأكيد على عربية القرآن وإن كان الأمر لا يحتاج إلى تأكيد أو تنبيه ولكن ماذا تقول لمن تخطي كل آداب البحث ومبادئ العلم بل تجاوز في غيه حتى زعم أنه سيفسر القرآن باللغة المصرية القديمة.

ولن نطيل الكلام ولكن سنجاريه في قوله ونقول ولو أن إنسانا قال إن ما فهمه الناس مما كتبه شكسبير.خطأ بل إنني فهمته بطرقة صحيحة أنهم يقولون can بمعنى يستطيع ولكنى اكتشفت أنها بمعني فعل ماض وأن معني sume بعض ولكن معناها هو من لم يسمع وأن معني he هو بل هي ومعنى god حسن بل بمعناها كن جواد أو تكرم بكذا بمعنى the صاحب وهكذا عشرات بل مئات الكلمات بل ومن مختلف اللغات

وبذلك سنعيد شرح شعر ونثر وليم شكسبير و برنارد شو بل وجوته وسوف نغير فهم الناس لنظريات نيوتن وفاراداي ومندل وأينشتين وغيرهم فهل يتقبل أحد ذلك الجهل العجيب .

وكذلك من يزعم أنه وجد بعض النطق المتشابه من بعض الكلمات القرآنية مع بعض الكلمات الهيروغليفية فظن أنه جاء بما لم يكن عند أحد ونعم لم يكن عند أحد غيره هذا الجهل العجيب والجرأة المتناهية وإقحام نفسه في ما لا طاقة لها به

.فمن هذا الذي يستطيع أن يشرح كتابا بلغة غير اللغة التي كتب بها.

نقد كتاب الهيروغليفية تفسر القرآن الكريم[1]:

لمؤلفه سعد عبد المطلب .

صدر قرار من المجمع[2] حوله.وتمت مناقشة الموضوع، واستنكر مجلس المجمع هذه الجرأة على كتاب الله ﷻ بالقول فيه بغير علم ولا هدى ولا إتباع، ويعجب المجلس أشد العجب من صدور مثل هذا القول ممن ينتسب للإسلام، ويقرأ القرآن بلسانه العربي المبين الذي نزل به من عند الله، مؤكداً أن ما اشتمل عليه هذا الكتاب إنما هو محض تخرصات وفرضيات لا تستند إلى أساس علمي صحيح.

اطلع مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته السابعة عشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من ١٩ ـ ٢٣ شوال عام ١٤٢٤ هـ الذي يوافقه ١٣ ـ ١٧ ديسمبر (كانون الأول) عام ٢٠٠٣، على الكتاب المذكور«الهيروغليفية تفسر القرآن الكريم» لمؤلفه سعد عبد المطلب العدل، الذي زعم فيه مؤلفه أن فواتح السور المبتدئة بحروف مقطعة وبعض الألفاظ في القرآن ليست عربية، وإنما هي كلمات أعجمية مستمدة من اللغة المصرية القديمة، (الهيروغليفية)،

---

[1] نفى مجمع البحوث الإسلامية موافقته على تداول كتاب "الهيروغليفية تفسير للقرآن الكريم" للمؤلف سعد عبد المطلب العدل، وأفادت الإدارة العامة للتأليف والبحوث والترجمة بالمجمع –وهي الجهة المختصة بإعطاء تصريحات على تداول الكتب المتعلقة بالجوانب الشرعية– أن هذا الكتاب لم يرد إليها وأنها لم تسمع عنه من قبل. من موقع اسلام اون لاين والمهم أن المؤلف رد على ذلك في تعليقه على الموضوع أيها الناس

أنتم لم تقرأوا كتبى كلكم بلا استثناء وتعلقون على كلام موتور لمن يسمى نفسه عبد الستار وهذا الرجل وزمرته الوهابية يدعون أن فى كتبى ما يسيء وهذا ليس صحيحا وإنما هو دائما ادعاء الوهابية لكل باحث يفتح باب الاجتهاد من جديد ، ولا ادرى لم تغيظهم مصر ومفكروها.. السيد عبد الستار هذا لم يقرأ كتبى ولا يفهمها إن حاول لأنه محدود الأفق محدود بمذهبه.. عليكم أن تحاربوا هذا الوهابى ويكفى أنه وهابى

أليست تلك فى حد ذاتها لعنة ؟!! ولا ندري لماذا لم يرد على الدكتور عبد الحليم نور الدين رئيس قسم الآثار بجامعة القاهرة،الذي اعتبر أن هذا الكتاب حرب، لم يرد عليه بالسب كما تطاول على علم من أعلام التفسير في العالم الإسلامي كله يشهد له بذلك أفاضل العلماء . وللحق فهناك موقع على الانترنت ذكر فيه حوارا مع المؤلف وهو موقع أرقام

http://www.alargam.com/fawateh/h٢/١٠htm. وهذا الموقع يدافع عن المؤلف كما لا يخفى وقوله إن أحداً لم يقرأ كتابه فنقول إن هذه الردود ملحق في آخر الكتاب ،

http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=١١٩٠٨٨٦٤١٩٤٠٢ FSRALayout٢%&pagename=Zone-Arabic-Shariah

[2] الدورة السابعة عشرة للمجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي التي عقدت في مكة المكرمة خلال الفترة من ١٩ ـ ٢٣ شوال ١٤٢٤هـ، الموافق ١٣ ـ ١٧ ديسمبر (كانون الأول) عام ٢٠٠٣.

وأنه سعى في كتابه المذكور إلى بيان معانيها بالحدس من خلال تلك اللغة، كما اطلع على التقرير المقدم عنه من عضو مجلس المجمع
الشيخ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد ... وإن مما يترتب على قول الكاتب أن يكون بعض القرآن نزل بلغة لا يفهمها النبي ﷺ ولا صحابته، بل لم يهتد إلى معناها إلا بعد أربعة عشر قرنا من الزمان (سبحانك هذا بهتان عظيم).

ولقد أجمع المفسرون منذ عصر الصحابة رضوان الله عليهم على عربية هذه الألفاظ .

ولم يرد ولو على قول ضعيف: أن هذه الألفاظ ليست عربية، وإنما اختلف القول عنهم: هل هي من المكنون الذي استأثر الله بعلمه، وذلك من حيث العلم الكلي بحقيقة معناها أم أنها من المعلوم الذي يمكن فهمه، وذكروا وجوهاً كثيرة لبيان المراد منها، وليس فيها أن هذه كلمات ليست عربية، كما يزعم هذا الكاتب المجازف.

وإذا كان من المتشابه فإنه .

كما قال الإمام الشافعي وغيره: "لا يحل تفسير المتشابه إلا بسنة عن رسول ﷺ أو خبر من الصحابة أو إجماع العلماء ، قال تعالى: (ولا تقف ما ليس لك به علم) (الإسراء: ٣٦)

وقد خطأه المتخصصون في اللغة المصرية القديمة وقالوا: إنه تجرأ ووظف ألفاظاً خاطئة لخدمة فكرته.

ثم إن الكاتب لم يتورع .

في سياق المعاني المبتدعة التي أتى بها . أن يمس جناب المصطفى ﷺ، حين وصفه بالشاك المرتاب الذي يميل بهواه أو يميل به الهوى، وغير ذلك من الألفاظ الفاسدة التي وردت في مواضع متكررة من الكتاب، وفيها استهانة بشخص النبي الكريم ﷺ على نحو يخشى على قائله إن لم يبادر إلى التوبة مما قال.

وإن المجلس ليدعو الكاتب إلى التوبة النصوح والبراءة مما كتبه وجادل به ، كما ينبه المجلس إلى أنه لا يجوز لأحد من المسلمين أفراداً أو جماعات أو مؤسسات أن يتبنى هذا الكتاب وأمثاله لا بالنشر ولا بالتقريظ والتأييد حتى لا يغتر به عوام المسلمين[1].

---

[1] الرد على كتاب الهيروغليفية تفسر القرآن الكريم علي بن عبد الرحمن القضيب العويشز ملتقى أهل الحديث
http://www.ahlalhdeeth.com

وحين قفز المؤلف إلى مجاهل التاريخ القديم ليجعل كلمات القرآن لفظاً ومعنى من اللغة البائدة القديمة،قد أتى بأمر بالغ النُّكْر، لا نظير له في مناهج العلم والبحث قديماً وحديثاً؛ لأنه يُفسر لغة قائمة شاخصة، بلغة بائدة دارسة، تقوم في دراستها — المعاصرة- على الفروض والظنون والتقريب والأخذ من الحفريات والبرديات المتناثرة،وتختلف فيها الآراء والأحكام اختلافاً هائلاً.

ومنهج المؤلف باطل من أساسه فقد زعم عجمة الحروف المقطعة وهي عربية بلا شك ومحاولة إعادة كتابتها بلغتها الأصلية لا يوافقه على ذلك المتخصصون ومحاولته لتفسيرها من قاموس اللغة المصرية القديمة وهو ظني ومحل خلاف، ثم إنه مترجم من اللغة القديمة إلى اللغة الإنجليزية أو الألمانية.

من أقواله الباطلة:

قوله:

والمعنى إذًا للآيات الأولى من سورة القلم كالأتي: تباً له وتباً للقلم الذي يكتبون به واللسان الذي يتلفظون به وسحقاً مما يسطرون وما يكتبون من جهالة (صـ٥١ ، ٥٢) إذ يحكم على القرآن بالشدة

١-إذ يحكم على القرآن بأنه بدأ بالشدة والشتم ! وهذا كذب مبين .

٢-يحكم بأن القرآن الكريم سب(القلم) ، وقد مدحه في السورة التي قبلها في النزول (الذي علم بالقلم) ، وهذا تناقض من أوهام المؤلف ، والقرآن يصدق بعضه بعضا .

٣-يدعي بأن (القلم) الذي توجه إليه السب هو (قلم المشركين) وهم أمة أمية،لا تكتب ولا تحسب كما جاء في الحديث الصحيح،فكيف يسب القرآن تسطيرهم وهو ليس صفة شائعة فيهم؟!

٤-أدخل في التفسير سب اللسان)وليس له ذكر في الكلام من قريب أو بيعيد!

٥–ما ذكره من تفسير إنما هو تلفيق منه يخالف ما أورده من معاني (نون)في اللغة المصرية القديمة.

٦–لو أراد القرآن الكريم أن يذمهم ويردعهم فلماذا لم يأت بلفظ يفهمونه؟!،وما فائدة هذا اللفظ الأعجمي هنا؟ولماذا لم ينددوا بالنبي الذي يخاطبهم بما لا يفهمون،وهم في موقف الخصومة والتحدي وتصيد الأخطاء؟!

٧–لقد نزل القرآن بهذا اللفظ العربي الفصيح بعد ذلك ردعاً لأبي لهب فقال تعالى(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١)سورة المسد.فلماذا لا يأتي به في صدر سورة القلم ردعاً للمعاندين من قريش الذين زعمهم المؤلف كذلك من أول البعثة.

مما ذكره ذلك الكاتب قوله:

(يا أيها النبي المكلف بالرسالة المهموم بهمومها والمشغول عليها والحزين المكتئب المغموم بسبب تكذيب الكفار لك ، ويا أيها المرتاب الذي راح يشك فيما هو بصدده بسبب ادعاءات المشركين عليه ونكرانهم له وتشكيكهم في مضمون الرسالة ومصدرها ومآلها)...

ومن كثرة تكذيب أهل مكة للرسول ﷺ، فربما يكون قد أصابه شئ من الشك أو الارتياب في إتمام وتبليغ الرسالة أو الانتصار عليهم أو الميل إليهم .

بعض ردود الدكتور عبدالحليم نور الدين

يقول إن (نون)جاءت من كلمة (نون) المصرية ومعناها انحطوا وهبطوا في حين أنها تُنطق في الأصل (ني) وليس (نون) ومعناها: ضعيف ،أو عار أو متكاسل أو مريض..

ثم يفسر(عسق) بأنها تشير إلى صفات جبريل عليه السلام وتعني الصادق الجميل القوي، ولا أدري من أين أتى بكل هذه المعاني

ويفسر (المر)في بداية سورة الرعد يقول إن النصف الثاني منها(مر)بأنه من اللفظ (مر) بمعنى يحب،وفي موضع لآخر يفسر حرف (م) وحده بأنه يعني بكاء،وهذا ما لا يمكن أن يتفق معه فيه أحد.

شرط تفسير العلم الأعجمي

ومع التأكيد على التمسك بعربية القرآن إلا أننا على يقين بوجود أسماء أعجمية كأسماء بعض الأنبياء فلا يخلط البعض ولا يفرط البعض في القول بأن هذه الأسماء معناها بالعربية كذا لأنها في أصلها غير عربية لذا نقول:

يجب ألا يلتمس العلم الأعجمي من غير لغة صاحب العلم

كمن فسر يوسف بأنها من الأسف كأن يوسف مشتقة من "يؤسف "لأن يوسف كان سببا في أسف أبيه.وكمن فسر "أيوب "بأنه الأواب أي كثير الرجوع إلى ربه .وكمحاولة اليهود لتفسير اسم سيدنا موسى على لغتهم مع أن الذي سماه هم آل فرعون فهو اسم هيروغليفي لا عبري

وهذا بيان خطأ من حاول تفسير العلم الأعجمي بغير لغة صاحب العلم.

١-إبراهيم عليه السلام

يرى علماء العبرية أن (راب) يعني كثير وهام يعني جمهور
فمعناه عندهم(أب +كثير+جمهور) أي أبو جمهور كثير ولكن لا يصح عبريا أن تكون (كثير) صفة لما بعدها (جمهور)؛لأن الصفة لا تتقدم على الموصوف ولا يصح عبريا إعمال الصفة فيما بعدها كما أن(أب)مفرد لا يصح أن يوصف بالكثرة .
والأفضل أن يقال إن (راب) صفة بمعنى كبير تصف بها (الأب) على التوقير فيكون المعنى ((أب كبير)) ثم إن (هام) معناها (الناس) فالمعنى الأقرب للصواب في إبراهام هي (أب كبير

للناس) وراب في العبرية على الاسمية لا الصفة بمعنى (الرئيس_ السيد _المعلم _الإمام) إذا المعنى إمام الناس[1] .

قال القرطبي وإبراهيم تفسيره بالسريانية فيما ذكر الماوردي، وبالعربية فيما ذكر ابن عطية: أب رحيم.قال السهيلي: وكثيراً ما يقع الاتفاق بين السرياني والعربي أو يقاربه في اللفظ، ألا ترى أن إبراهيم تفسيره أب راحم، لرحمته بالأطفال، ولذلك جعل هو وسارة زوجته كافلين لأطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا إلى يوم القيامة.

قال الألوسي: و (إبراهيم) علم أعجمي ، قيل : معناه قبل النقل أب رحيم[2] وهذا الذي نقله القرطبي وذكره الألوسي لا دليل عليه ولعله من تفسير بالظن والظن لا يغني عن الحق شيئا.بل نقول إنه لا وجود لكلمة "رهيم" هذه لا في الآرامية ولا العبرية؛لأن الرحمة في كلتا اللغتين بالحاء لا بالهاء كما يُظن[3].

٢-أيوب عليه السلام

أيوب يُنطق في العبرية (إيُّوب) بكسر الهمزة وتشديد الياء ممدودة بالضم لا بالواو والجذر(أيَبْ-يئْبَ) أصله من (ويب) العربي بمعنى الويل والضر فأيوب هو الضرير المتأذى المضرور (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) الأنبياء .وعبارة أني مسني الضر يصح أن تقول في العبرية "إيوب أني" أي "أنا أيوب متأيب"

ويجب التنبيه إلى التعجيل في التفسير بالتشابه والتغاير ففي قوله تعالى

(إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)سورة ص .

فيقال إنه أيوب أي أواب ولكن ذلك لا يصح لأن سليمان عليه السلام وصف كذلك قال تعالى(وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) .سورة ص .

---

[1] العلم الأعجمي ١/٢٦٩-٢٧١

[2] القرطبي ٢/٩٦

[3] العلم الأعجمي ١/٩٥

و الطريقة المثلى في التفسير أن ترجع إلى لغة صاحب الاسم العلم وتستقصي معاني هذا الاسم في لغته هو [1].

"بابل" من خرافات أهل الكتاب أنها سميت بابل لتبلبل الألسنة فقد ذكر القرطبي: واختلف في تسميته ببابل، فقيل: سمي بذلك لتبلبل الألسن بها حين سقط صرح نمرود.

وقيل: سمي به؛ لأن الله تعالى لما أراد أن يخالف بين ألسنة بني آدم بعث ريحا فحشرتهم من الأفاق إلى بابل، فبلبل الله ألسنتهم بها، ثم فرقتهم تلك الريح في البلاد.

والبلبلة: التفريق...

بل روى عن ابن عباس أن نوحا عليه السلام لما هبط إلى أسفل الجودي ابتني قرية وسماها ثمانين، فأصبح ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة، إحداها اللسان العربي، وكان لا يفهم بعضهم عن بعض.

ويدل على خطأ ذلك القول الاختلاف وعدم مطابقته للواقع فاللغات أكثر مما قيل ثم إن ذلك من دلائل قدرة الله قال تعالى(وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (٢٢) سورة الروم.

والحق أنها من البابلية "باب+ايلو"أي"باب+إل"يعني باب الله ، سهلت همزتها على المزجية ، قال الطاهر بن عاشور: وبابل بلد قديم من مدن العالم وأصل الاسم باللغة الكلدانية "باب إيلو" أي باب الله ويرادفه بالعبرانية باب إيل [2].

٤-جبريل عليه السلام

تعريب جبرئيل العبرية وهو اسم مزجى من شقين عبريين :جبري +إيل

فمعنى (جبرئيل) في العبرية والآرامية هو جبار الله أي ملك الله الشديد القوي [3]

---

[1] العلم ٢/١٩٨-٢٠٢

[2] القرطبي ٢/٥٦ التحرير والتنوير ١/٦٤١ العلم الأعجمي : ١/١٩٥-١٩٧

[3] العلم الأعجمي : ١/١٧٦-١٨٠

٥-جهنم

معنى جهنم بعيدة القعر مثل الهاوية ولكن بعض المستشرقين قالوا إن القرآن أخذ جهنم من(جي هنوم).
وهذا خطأ لا شك فيه ليس في التوراة من أسماء النار" جهنم" ، وإنما فيها " شئول" أي الهاوية، وهي Hades اليونانية في الترجمة السبعينية للتوراة. والهاوية من أسماء النار في القرآن. وليس في المعجم العبري أصلا "جهنم" أو "جهنام" العربيتان بمعنى البئر البعيدة القعر، وهي نفسها"الهاوية".وإنما في العبرية "جي– بني– هنوم"، أي وادي أبناء "هنوم"، التي اختصرت إلي"جي – هنوم" ، أي " وادي هنوم"، وموضعه بالحي الجنوبي الشرقي من أورشليم ضحى فيه " آحاز"، " منسا" بأبناء لهما قربانا للإله " مولخ"، وغدا من بعد مزبلة ومحرقة للنفايات، تحقيراً.

أما الإنجيل فهو يذكر في ترجمته العربية "جهنم" بالاسم : "بل أريكم ممن تخافون. خافوا من الذي بعد ما يقتل، له سلطان أن يلقي في جهنم" (لوقا١٢/٥)، يترجم به "جهنا" Gehenna في الأصل اليوناني، وهي باتفاق ليست يونانية، وإنما هي عبرية أو آرامية، فالأصيل في اليونانية "كولاسي" Kolasi، ومعناها "دار العقاب" ، جهنم أو الجحيم أو الهاوية أو ما شئت من أسماء النار، ولكن لوقا كدأبه آثر استبقاء "جهناً" علي أصلها، أقرب ما تكون إلى ما نطق به المسيح.

ولعل المسيح عليه السلام نطق بها علي أصلها العربي "جهنام" حذف لوقا ميمها في الرسم اليوناني، علي نحو ما فعل في إنجيله أحيانا من حذف ميم "مريم" فرسمها في بعض مواضع Maria، أو أنه عليه السلام نطقها "جهنا" بحذف الميم ترخيما علي نحو ما كتبها لوقا، وأن "جهنا" هذه أو "جهنام"، هي المقابل الآرامي - لا العبري - لجهنم أو جهنام العربية، بمعنى البعيدة القعر، أي الهاوية، يعني بها "شئول" العبرية لا أكثر و لا أقل.

ولكن "اليونانية الكنسية" التي لم تجد في المعجم العبري أصلا تشتق منه "جهنا" الإنجلية هذه أقرب من "جي- هنوم" ظنتها الصورة الآرامية لـ"جهناً" أو "جهنام"، وفاتها أن المسيح عليه السلام في السياق المتقدم يخوف السامع بما بعد الموت، أي يخوفه بدار العذاب في الآخرة، لا بمحرقة للنفايا علي أطراف أورشليم، أي"جي- هنوم"، التي لا تخيف أحدا مات أو قتل، فلا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها. وعلي هذا النحو مضي أدعياء الاستشراق يطنطنون بأن القرآن أخذ "جهنم" من "جي- هنوم" كما فعل لوقا من قبل في إنجيله.

وقد ضل هؤلاء المستشرقون علي علم، لأنهم أرادوا لأنفسهم هذا الضلال: القرآن لا يسمي"جهنم" اعتباطا، وإنما هو يصورها أبلغ تصوير وأبينه بمعنى الهاوية البعيدة القعر، تماما كمعنى جهنم وجهنام في المعجم العربي: (أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) (٤٩) سورة التوبة، (أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ) (١٠٩) سورة التوبة، (جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ) (٢٩) سورة إبراهيم، (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا) (٦٨) سورة مريم، (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) (١٤٥) سورة النساء، (حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ) (٣٨) سورة الأعراف،

أفي"جي- هنوم" العبرية من هذه المعاني شئ؟ أليست"جي- هنوم"، أعني ذلك الوادي الذي لأبناء هنوم، اسم موضع معلوم؟ أليست "جي" العبرية (وهي من "جواء" العربية) تعني "الوادي"، بل الواسع من الأدوية؟ فكيف تجئ جهنم (الهاوية) من "الجواء" وهي أقرب إلى الضد منه؟ أليست الهاوية في المعجم العربي تعني البعيدة القعر؟ أليست هي وجهنام في المعجم العربي علي الترادف والتطابق؟ أفي معني"الوادي" و"الجواء" من هذا شئ ؟ والذي يستوقف النظر أن المعاجم العبرية الأحادية اللغة، أي العبري- عبري، لا تفسر "جي- هنوم" بأنها تعني "دار العذاب" في الآخرة، وإنما تدرجها في ثبت الأعلام علي الموضع والمكان، أي ذلك الوادي في الجنوب الشرقي من أورشليم.علي أن القرآن لم يحتج إلي" جهنا" ولديه في

أصيل العربية"جهنام"، ولم يعرب لفظ"جهنم" عن "جي- هنوم" البعيدة كل البعد عن معناه. جهنم في القرآن عربية. أما أن "جهنم" ممنوعة من الصرف في كل القرآن فليس هذا لعجمتها، وإنما هو فقط للعلمية والتأنيث[1] .

٦-السامرى:

ليست "السامرى " في القرآن صفة على النسب إلى السامرة التي في فلسطين(هي"شُمْرُون " عبريا بضم الشين والنسبة إليها " شُمْرُوني " أي "السامرى " الذي من السامرة)،وإنما هي صفة على النسب إلي "شِمرون "بكسر الشين ،وهو شِمْرُون بن يِسَّاكَر بن يعقوب ،الذي ينسب إليه "الشِّمْرُونِيُّون "،عشيرة شمرون، من سبط يساكر بن يعقوب ،أحد أسباط بني إسرائيل الإثنى عشر .

وكلا اللفظين (شُمْرُون بضم الشين يعني السامرة وشِمرون بكسر الشين ابن يساكر بن يعقوب رأس عشيرة الشمرونيين والنسبة إليها شِمْرُوني بكسر الشين يعني واحد الشمرونيين أي" السامريين"كالذي في القرآن) مشتق من الجذر العبري "شَمَرْ" ، الأولى " شُمْرُون "بضم الشين على اسم المكان ،أي السامرة،والثانية بكسر الشين على اسم الفاعل من "شَمْر"،ومعناه حَفِظَ وصانَ وحَرزَ، و" شَمَرْ مِنْ" يعني احترز منه وتحاماه وتوقاه(راجع الترجمة العربية على الأصل العبراني لسفر يشوع ١٨/٦) .

وعلى هذا يكون معنى السامرة عبريا هو الحرز أي الحصن المنيع، ويكون معنى اسم شمرون بن يساكر بن يعقوب المنسوب إليه ذلك الشِّمروني) أي" السامري"الذي في القرآن)، هو الحارز المحْتَرِز " السامري"الذي في القرآن هو من صميم أسباط بني إسرائيل في التيه، لا شأن له " بالسامريين" الساكنين السامرة في فلسطين،. لم يُسَمِهِ القرآن بالاسم وإنما نسبه إلى بنى أبيه. ولم يفطن إلى هذا المفسرون. ولكن القرآن المعجز الذي لم يَسَمَّ هذا الرجل باسم لا يفوتُهُ أن يفسر لك معنى" شِمْرُوني"(أي السامري) في أصلها العبري بتلك العبارة المعجزة "لامساس !"وصيغة أمر الجماعة من الجذر العبري "شَمَرْ- إن أضفت إليها ضمير المفعول

[1] العلم الأعجمي ١/٢٠٧-٢٠٩

للمتكلم في العبرية "نِي" كما في العربية تماما تصبح (شِمْرُوني) أي توقوني وتحاموني "لامساس " الذي في القرآن بنفس
الرسم والنطق الذي في (شِمْرُوني) على النسب " السامري"الذي في القرآن [1] .

٧–الفردوس

عربية من (الفردسة) أي التوسعة والتعريش من فردس الكرْم أي وسعه وعرشه ورجل فرادس ضخم العظام والفُرْدَوْس بضم الفاء الزيادة والسعة في الحنطة ونحوها ولذا نقول لا علاقة بين فردوس العربية (وبيري+ديز)الفارسية التي بمعنى السور أو الحائط .
وعرف العرب الفردوس والفراديس قبل القرآن يطلقون علي بساتين الكرم خاصة لأن الكروم أكرم البساتين عند العرب
أما (برديس) العبرية يقولون إنها بمعنى (جنة الشجر المثمر مسورة) وذلك أخذا من لفظ (براذيسو)اليونانية. بمعنى السور أو الحائط

والمفسرون قالوا بعربية الفردوس وشذ من قال إنها من اليونانية أو الفارسية ولا يقال الفردوس بمعنى الجنة لقوله تعالى (جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ) ١٠٧:سورة الكهف.أي جنات الجنة أو جنات البستان الفردوس هي أعلى درجة وأفضلها وهي عربية ولا مُشاحة [2] .

٨–موسى عليه السلام

ظن البعض أن موسى تعريب (موشيه) في التوراة وأرجعوا أنه سمي بذلك لأنه كما في سفر الخروج ودعت اسم موسى (موشية في الأصل العبراني)وقالت إني انتشلته من الماء (الخروج ١٠/٢) وهذا لا يصح عبريا لأن موشيه على زنة الفاعل تعني أن موسى كان الماسي لا الممسو أي الناشل لا المنشول وهذا لا يجوز عبريا وإن جاز عربيا وبعضهم قال إنه على

---

[1] العلم الأعجمي ٢/٢٨، ٢٩
[2] العلم الأعجمي ٢١/١٩٨–٢٠٤

الفاعلية من (مشا) تفيد معنى المخلص أي الذي انتشل بني إسرائيل من مصر ولكن كيف طرأ هذا على من انتشله

والذي لا يصح البتة افتراض عبرانية (موسى) فمن الذي ينطق به امرأة فرعون التي لا تفهم هذه اللغة وكيف تسميه باسم لغة أعداء فرعون وعبيد فرعون والمتوقع منها أن تسميه بلغتها المصرية القديمة يمكن أن نفهم عبارة سفر الخروج أنها سمته موسى بلغتها لأنها هي التي انتشلته من الماء وليس معنى ذلك أنه ترجمة لمعنى موسى وقولها دعته اسمه موسى أي ابنا لها لأنها انتشلته فموسى باللغة المصرية القديمة وهذا ما سلم به اللغويون الآن بعد أن عرفوا أسرار اللغة المصرية القديمة و ذلك بعد نزول القرآن بثلاثة عشر قرنا وهذا الاسم أقرب ما يكون نطقه في اللغة المصرية موسى كما في تحتمس تحوت + مس وانتهوا إلى أن أصلها (ضحوتي +موسى)بالإمالة والمعنى ولد تحوت أو وليد تحوت لا ابن تحوت لأن ابن في المصرية هي (سا) لا(موسى) وموسعلى المفعولية فهو (ولد أو وليد)
وجاءت العبرية فشينت السين (موشيه) على الإمالة قال سبحانه(قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا) ١٨:سورة الشعراء[1].

٩-ميكال عليه السلام

ميكال: تعريب ميكائيل العبرية تكتب بالكاف في العبرية وتنطق بالخاء (ميخائيل)؛لاعتلال ما قبلها بناء على قواعد النطق في تلك اللغة

وعلماء العبرية وعلماء التوراة يفسرون ميكائيل بأنها اسم مزجى يتكون من ثلاثة أجزاء (مي-كا-ايل) أي (من-ك-الله) وليست هي عندهم على التقرير بل على الاستفهام و إن شئت على التعجب (من كالله)

[1] العلم الأعجمي٢ | ١١-١٧

وربما يقال إن (مي) العبرية قبل عصر التوراة تجيء على الاستفهام والتعجب كما تجيء على الاسم الموصول بمعنى الذي فيكون معنى ميكائيل (الذي هو كالله)على التقرير أي ممثل الله عز وجل المفوض منه تبارك وتعالى وهذا نفسه غاية ما يستفاد من قولنا الاستفهام أو التعجب: من كالله ؟

ولعل الأقرب للصواب في بيان المعنى أن الألف في الخط العبري تكتب دائما غير مهموزة و إنما هي تهمز نطقا فحسب، إن وقعت في أول الكلمة أو وقعت في وسطها مشكولة بإحدى حركات الفتح والكسر والضم والسكون وتسهل فيما عدا ذلك فتنطق ألفا لينة أي مفتوحة ممدودة غير مهموزة وإنه لو خُلي بينك وبين حروف ميكائيل بالخط العبري في التوراة دون شكل أو نقط(م-ي-ك-ا-ل)لجاز لك أن تنطقها (ميكال) كما نطقها القرآن فتكون ميكال اسم على مفعال من الجذر العبري (يَكُل)وصفا بالمصدر على المبالغة وهو جذر عبري مكافيء لـ(وَكَلَ) العربي في أصل معناه أوكلت إليه الأمر ووكلتُهُ إليه فهو مُوكل ووكيل بمعنى فوضته فيه وخليت بينه وبينه.
أصلها أمكنته منه وأقدرته عليه ، فأصبح عليه قديرا.
هذا هو أصل المعنى الرئيسي للجذر العربي (وَكَلَ) لازما غير متعد بمعنى القدرة وهذا أيضا هو وحده المعنى الباقي في الجذر العبري (يكُل) لازما متعديا باللام . بمعني قدر عليه وتمكن منه فيكون معنى ميكال عبريا الوكيل المفوض بمعنى القدير الممكن.

وهذا هو نفسه معنى ميكال عربيا وإن لم تسمع من العرب، إن اشتققته على(مِفعال) من (وكل) لازما غير متعد بمعنى الوكيل الذي يفيد القادر المقتدر أو الموكل المفوض وهكذا يكال صلوات الله عليه[1] .

---

[1] العلم الأعجمي١/١٨١-١٨٤

١٠-نوح عليه السلام

"نوح" في القرآن هي تعريب "نوح" في التوراة، التي تنطق في العبرية مدا بالضم بعده فتح (نُو- وَح)، ومن هنا كتابتها بالإنجليزية Noah.

وهي في العبرية من الفعل العبري "ناح/ينوح"، مشتقة على المصدر أو اسم الفعل، فهي "نوح" (نُو- وح).ومعاناه في العبرية : البُقيا والتلبث - الدعة والسكون - الكف والتوقف - الراحة والاسترواح والتنعم. وهو في العبرية والآرامية سواء.

ويمكن أن ترد هذه المعاني جميعا إلي معني الفعل الرئيس، وهو البُقيا والتلبث.

من "النُّواح"، كما ظن البعض ، ولم يوفقوا فيه، فليس في "ناح" العبري من معاني "النواح" شئ ، وإما هو"ناخ" العربي بخاء منقوطة، من الإناخة والتنوخ، أي التلبث والبقيا، وهو الصحيح؛ لأن هذا هو المعني الرئيسي للفعل العبري "ناح/ ينوح". [١].

١١-يُوسُفُ عليه السلام

وفي يوسف ست لغات أو ستة أوجه ضم السين وفتحها وكسرها مع الهمز وبتركه والفصيح الذي جاء به القرآن ضمها بلا همز وهو اسم أعجمي والصواب أنه لا اشتقاق له

قال النووي: ولبعض المفسرين وغيرهم تخبيط في اشتقاقه،

وقد مر بيان خطأ أنها مشتقه من الأسف

ولعل الصواب أن يوسف أصلها (أسف)في العبرية بمعنى الجمع واللمّ والإيواء والضيافة فمعنى يوسف أنه الجامع بني يعقوب في مصر الذي استضاف وآوى والآوي المضيف هو التفسير القرآني قوله ﷻ: (وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ) (٦٩) سورة يوسف، ، ومرة أخري في قوله ﷻ: (فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ) (٩٩) سورة يوسف، يوسف في هاتين الآيتين يعني الذي استضاف وآوى ، وهو (الآوي المضيف)وهو علم يلخص أبلغ

---

[١] العلم الأعجمي ٢٣٢/١، ٢٣٣

تلخيص دور يوسف عليه السلام في تاريخ بني إسرائيل ليس يوسف من الأسف وليس با لضرورة يزيد.القرآن يدلك علي معني اسم'' يوسف'' ﷺ بفعل صدر منه- الإيواء والاستضافة- كان بحق محور دوره ﷺ في تاريخ بني إسرائيل، وكأن الاسم يلخص لك هذا الدور أصدق تلخيص: كان يوسف لبني إسرائيل في مصر نعم" الآوي- المضيف"[1].

١٢-يونس ﷺ

هي (يونا) العبرية في العهد القديم التي عرفت بيونانيتها في أصول الأناجيل (يوناس) (مضافا إليها سين الرفع اليونانية) وجاءت (يونِس) في ترجمات الأناجيل العربية "يُونَان" "ionas"بإضافة نون المنصوب في اليونانية أيضا

ولكنها عرفت عند العرب بصورتها السريانية المأخوذة عن اليونانية (يونِس) بكسر النون فعربها القرآن على ما عرفت به عند العرب ولكن بضم النون منعا لشبهة فهمها من الأنس والإيناس .

لا يقال"أبق"في العربية إلا في العبد الآبق من مولاه ، وكان يونس هو هذا العبد الآبق من عفو الله عن قومه فضيق الله عليه في ظلمات البحر والحوت ،حتى فهم الدرس ،ثم أعاده إلى قومه هاديا مرشدا ، يرجو لهم الرحمة و لا يطلب لهم الضيقة ، فقد ضيق الله عليه من قبل في بطن الحوت :(إذ نادي وهو مكظوم)(القلم:٤٨)

و"يونا "اسم نبي الله يونس ﷺ في العبرية يعني بذات لفظه العبري أيضا" الذي ظلم ولم يعدل "(إي صدق عبريا)الذي جانس عليها القرآن قول يونس: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)(الأنبياء:٨٧)، أي ما أنصف يونس في إباقه من رحمته ربه ،يفسر بها أحد معنيي هذا الاسم العبراني "يونا".

[1] العلم الأعجمي :١/ ٩٤ ، ٣٢١-٣٢٣

فيونس في المعجم العبري"الحمامة" واسم الفاعل المؤنث من الجذر العبري"ينا"الظالمة، وجانس القرآن على اسم يونس الحمامة التي ظلمت.

يونس ذكر في العهد القديم(يونا) وترجم إلى العربية إلى يونان وذكر في أصل الأناجيل يوناس ومعناه (يونا أو يونس) الذي ظلم(وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (الأنبياء:٨٧ :٨٨)وقال تعالى في سورة الصافات(و إنَّ يُونُسَ لَمِن المرْسَلِينَ إذْ أَبَقَ إلَى الفُلْكِ المشْحُونِ. فسَاهَمَ فكَانَ مِن المدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الحُوتُ و هو مُلِيمٌ فلوْلاَ أنَّه كان مِن المسَبِّحِينَ لَلَبِثَ في بطْنِهِ إلَى يومِ يُبعثون فَنَبَذْنَاهُ بالعَراءِ و هو سَقِيمٌ و أَنْبَتْنَا عليهِ شَجَرَةً مِن يَقْطِينٍ و أرسلْنَاهُ إلَى مِائَةِ ألْفٍ أو يَزِيدُون فآمنُوا فمتَّعْنَاهُم إلَى حِينٍ)[الصافات:١٣٩ - ١٤٨]

وفي يونس ست لغات أو أوجه:
ضم النون وكسرها وفتحها مع الهمز وتركه والفصيح ضمها بلا همز وبه جاء القرآن[١].

وبعد فهذه محاولة من الأستاذ رءوف أبو سعدة وقد دافع من خلال كتابه عن القرآن الكريم وحفظ للقرآن قدسيته ثم إني قد قارنت بين كلامه وبين كلام أئمتنا؛

فوجدته لم يحد عن خطاهم بل قد نجد له أصلاً وسلفاً فيما قال رحمه الله رحمة واسعة.

[١] تهذيب الأسماء واللغات ٤٦١/٢ ، العلم الأعجمي ١٨٥/٢-١٩٦

المبحث الرابع

المطلب الأول

توطئة الراسخون في العلم يعلمون المتشابه

القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء بيد أننا وجدنا بعض العلماء يقولون هذا مما لا يعلمه إلا الله فما مدي قبولنا لتلك المقولة التي أعطت الفرصة لأعداء الدين أن يقولوا إن في القرآن ما لا فائدة منه وما هو من قبيل المهمل الذي يزعم المسلمون أنه مما استأثر الله بعلمه

قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنِ الْعَرَبِيّ :وقدم الله تعالى من يريد أن يتبع المتشابه بنفسه طلبا لفهمه حتى لو رده إلى الأم وهو المحكم لوجد معناه فيه وكان محموداً وبذلك يكون في جملة الراسخين في العلم الذين يؤمنون به أولاً عند سماعه ويعرفونه آخراً عند التذكرة برده إلى أم الكتاب[1].

وقال العلامة الكافيجي رحمه الله: كل متشابه من القرآن يدل قطعاً على ما أريد منه بحسب قدر فهم المخاطب بحيث لا يبلغ درجته درجة المحكم في الوضوح بالإجماع،ولوجوب اعتقاد حقية المراد منه، قال تعالى " وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧) آل عمران.[2] وقال –أيضاً –رحمه الله–: التأويل يقال على معنيين،صرف على سبيل القطع وصرف على سبيل الظن، ف التأويل بمعنى الأول لا يجوز في محل الاحتمال بلا اقتران بالدليل القطعي.

---

[1] المحصول في أصول الفقه : للقاضي أبي بكر بن العربي المعافري المالكي ص٨٧
الناشر : دار البيارق – الأردن الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م تحقيق : حسين علي البدري

[2] التيسير في قواعد علم التفسير للإمام محى الدين محمد بن سليمان الكافيجى ص١٠٤ تحقيق أنور محمود المرسي خطاب الناشر دار الصحابة الطبعة الأولى ١٤٢٨-٢٠٠٧ .

والتأويل بمعنى الثاني يجوز في محل الاحتمال بالاقتران بالدليل الظني. فعلم من هذا أن النزاع في تأويل المتشابه بالمنع والجواز نزاع لفظي.
وكذا النزاع في الوقف على الله تعالى في قوله" الله".
والمختار أنه وقف حسن–أي جائز–وأن التأويل المتشابه جائز[1]، ألا ترى أن المفسرين لم يزالوا قوماً بعد قومٍ يفسرون كل القرآن من غير توقف في تفسير شيئ من القرآن[2].

لذا نقول كما قال شيخنا الأستاذ الدكتور عبدالغفور محمود مصطفى رحمه الله:
فواتح السور والساعة ونزول الغيب من المحكم لا المتشابه ومنشأ الجهل في ذلك لا يرجع إلى المعنى المراد والمتبادر منه عند الإطلاق حتى يصلح عده متشابهاً، بل يرجع إلى كيفيات أخرى ليس لذكرها في القرآن الكريم عين ولا أثر حتى يصلح أن يطلق عليها وصف التشابه الذي هو وصف لبعض آيات القرآن لا لما هو خارج عنها... ثم إن المتشابه أزاله العلماء ولو إجمالاً فلم يعد متشابهاً.[3].

وقال شيخنا الأستاذ الدكتور إبراهيم خليفة –حفظه الله–:

والراسخون في العلم يعلمون المتشابه والواو في قوله تعالى (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آَمَنَّا بِهِ)هي للعطف لا للاستئناف وجملة يقولون حالية لا مستأنفة استئنافاً بيانياً واقعاً في جواب سؤال مقدر عن حالهم بعد إذ علموا من معاني المتشابهات الجليلة.
أو الواو استئنافية والوقف على لفظ الجلالة قبلها والمقصود بالعلم المقصور على الله الفرد الكامل أي العلم المحيط بحقائق الأمور علما حضورياً، لا يحتاج فيه إلى تدبر أو تنبيه فضلاً

---

[1] الوقف على قوله تعالى(وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) و وصله بقوله (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) ٧:آل عمران جائز و لكل واحد منها وجهاً فالوقف على لفظ الجلالة يعني أن الله تعالى استأثر بعلم المتشابه، وهذا حق إذا كان المراد العلم المحيط، أما الوقف على ما بعده أي الوصل إلى (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) دون وقف على لفظ الجلالة فيعني أن الله تعالى يعلم والراسخين في العلم يعلمون، لكنهم لا يحيطون علماً فعلم الله تعالى كما يليق به عز وجل. و علم الراسخين على ما علمهم الله سبحانه وفتح عليهم. التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد صـ٢١١، ٢١٢

[2] التيسير في قواعد علم التفسير صـ١٥٠

[3] التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد صـ٤٠٥ ،صـ٢١٢ الناشر دار السلام

عن نظر واستدلال وليس كهذا العلم علم الراسخين طبعاً أي فعلمه تعالى هذا المقصور عليه لا ينافي علم الراسخين اللائق بحالهم البشري المحوج إلى تدبر وإمعان نظر وبحث في صحيح الأدلة ثم ذكر حفظه الله دليلين على ما اختاره فلينظر ثَمّ[1].

وقال فضيلة الشيخ عبدالوهاب خلاف:

والذي يظهر لي أنه الحق هو تفسير المتشابهات في القرآن بالمشتبهات أي المحتملات التي يكون احتمالها مجالاً للاختلاف في تأويلها، وهي تقابل المحكمات التي أحكمت عباراتها وحفظت من الاشتباه واحتمال التأويل.فعلى هذا فليس في القرآن مالا سبيل إلى علم المراد منه، وإنما فيه ألفاظ تدل على المراد منها بنفسها من غير اشتباه ولا احتمال للتأويل والاختلاف ، وفيه ألفاظ تدل على معنى ويحتمل أن يُراد منها غيره، وهذه مجال البحث والاجتهاد لإزالة الاحتمال وتعيين المراد ، وفيه ألفاظ لا تدل على المراد منها بنفسها ولكن أحاطها الشارع بقرائن أو ألحقها ببيان يفسر ما أراد منها؛ لأن الله أنزل القرآن للتدبر والتذكر،فكيف يكون في آياته مالا سبيل إلى فهمه مطلقاً[2].

والمسألة طويلة وما ذكرناه ينبه على الغرض.
والحمد لله وحده.

عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ} [آل عمران: ٧]
قَالَ: «الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ» .
وَفِي غَيْرِ قَوْلِ مُجَاهِدٍ قَالَ: انْتَهَى عِلْمُهُمْ إِلَى أَنْ قَالُوا {آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} [آل عمران: ٧][3]

---

[1] الإحسان في مباحث من علوم القرآن الأستاذ الدكتور إبراهيم عبدالرحمن خليفة ص٢٨٦٢٨٩

[2] علم أصول الفقه لفضيلة الشيخ عبدالوهاب خلاف ص١٧٦ ،١٧٧ الناشر مكتبة الدعوة الإسلامية

[3] فضائل القرآن للقاسم بن سلام (ص: ١٠٠)

المطلب الثاني

حول وجود الزائد فى القرآن الكريم

كثيراً ما نجد في كتب التفسير أن كلمة كذا زائدة، زيدت للتأكيد، زيدت لتأكيد النفي فهل تستقيم هذه العبارة في كل مرة وهل لنا أن نبحث عن سر آخر نزيده على التأكيد إن لم يكن ذلك السر سبباً في رفضها أصلاً ؟ .

قاعدة

اتفق المحققون على أنه (ما أمكن تخريجه على غير الزيادة لا يحكم عليه بالزيادة)[1].

بادئ ذي بدء نقول:
نص علماؤنا على أن يجتنب إطلاق لفظ الزائد في كتاب الله تعالى فإن الزائد قد يُفهم منه أنه لا معنى له، وكتاب الله منزه عن ذلك ؛ لذا فر بعضهم إلى التعبير بدله بـ(التأكيد والصلة والمقحم)

وقد اختلف في جواز إطلاق لفظ الزائد في القرآن:
فالأكثرون على جوازه؛ نظراً إلى أنه نزل بلسان القوم ومتعارفهم ولأن الزيادة بإزاء الحذف هذا للاختصار والتخفيف وهذا للتوكيد والتوطئة

ومنهم من أبى ذلك وقال هذه الألفاظ المحمولة على الزيادة جاءت لفوائد ومعان تخصها فلا أقضي عليها بالزيادة.

---

[1] الجنى الداني في حروف المعاني لابن أُمّ قَاسِم المرادي:صـ ٥٢

قال- أي من أبى ذلك -: والتحقيق أنه إن أريد بالزيادة إثبات معنى لا حاجة إليه فباطل لأنه عبث فتعين أن إلينا به حاجة لكن الحاجة إلى الأشياء قد تختلف بحسب المقاصد فليست الحاجة إلى اللفظ الذي عده هؤلاء زيادة كالحاجة إلى اللفظ المزيد عليه.قال السيوطي:بل الحاجة إليه كالحاجة إليه سواء بالنظر إلى مقتضى الفصاحة والبلاغة وأنه لو ترك كان الكلام دونه مع إفادته أصل المعنى المقصود أبتر خالياً عن الرونق البليغ لا شبهة في ذلك.

ذكر الدسوقي نقلاً عن الدماميني: ليس بين الزيادة وجواز السقوط تلازم فقد يكون الحرف زائداً لازما [١] .

ومعنى ذلك أنهم لا يعنون بالزائد أنه لا فائدة له في أمر الصناعة الإعرابية فقط أو على ركني الجملة أي أصل ما يتأدى به المعنى .

فالمراد بالزيادة: أنك لو حذفت الكلمة التي قيل بزيادتها لم يتغير الكلام عن معناه الأصلى. وإنما قلنا لم يتغير عن معناه الأصلى؛ لأن زيادة هذه الحروف تفيد معنى وهو التوكيد، ولم تكن الزيادة لغير معنى البتة ، لأن التوكيد معنى صحيح ، لأن تكثير اللفظ يفيد تقوية المعنى[٢].

وقال ابن يعيش: ليس المراد بزيادة الحرف أنه قد دخل بغير معنى البتة ،بل زيد لضرب من التأكيد،والتأكيد معنى صحيح"...وقال أيضاً إنها لا تزاد إلا في موضع لا لبس فيه[٣].

قال أبو حيان: المختار عند حذاق النحويين أن الأسماء لا تزاد[٤]

---

[١] حاشية الدسوقى على المغنى: ١٧٩/١

[٢] الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي : ١ / ٢٤٩

[٣] شرح المفصل لابن يعيش ١٢٩/٨-١٣٧

[٤] البحر ٥٤٤/٢

ولعل الذى أنكر وجود الزائد فى القرآن الكريم نظر إلي ما يسبق إلي الذهن من كلمة (الزيادة) وهو أن ذلك الشئ المزيد فى الكلام لغو وحشو لا فائدة له ، وأن وجوده فى الكلام وعدم وجوده على سواء،وأنه من أجل ذلك يمكن الاستغناء عنه.

وما هذا شأنه لا يليق بالكلام البليغ فضلا عن أبلغه وهو القرآن الكريم[1].

فلابد للكلمة أن تكون لها فائدة إن لم تكن من مقومات صلب المعنى فلا أقل من أن تكون تقوية وتأكيداً أو تمحيصاً لبعض ما تضمنه من معنى

فالقول بوقوع كلمات زائدة في القرآن أمر هين لأن تلك الكلمات التي تُوصف بالزيادة مقصود بها تأدية معان لا تتحقق بدونها، وأن الوصف بالزيادة ، ليس على المعنى الذي يتبادر إلى الذهن عند الإطلاق العام إنما هو اصطلاح خاص أما من زعم أن تلك الكلمة أو ذلك الحرف زائداً يعني أنه لا فائدة منها أو منه فهو مما لا ينبغي أن يلتفت إليه لكونه من الدخيل.

كقول من قال بزيادة الواو في قوله تعالى

(أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) البقرة :٥
جوز بعضهم أن يكون (أولئك) الثانية خبرا لقوله تعالى: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)٣: سورة البقرة.
ووجود الواو غير مانع ، لأنها زائدة

ورد ذلك السمين الحلبي قائلا: وقولهم الواو زائدة لا يلتفت إليه .[2]

---

[1] حاشية الشهاب ٢ / ١٣٣
[2] الدر المصون ١ / ٩١

وكذا من قال بزيادة عن في قوله تعالى

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ) الأنفال:١

قال السمين:(سأل) تارة تكون لاقتضاء معني في نفس المسؤول ، فتتعدى بـ (عن) كهذه الآية،

وقد تكون لاقتضاء حال ونحوه ، فتتعدى لاثنين نحوه سألتك مالا ، وقد ادعى بعضهم أن السؤال – هنا – بهذا المعنى وزعم أن (عن) زائدة ، والتقدير : يسألونك الأنفال ،وهذا لا ضرورة تدعو إليه .[1] ويبعد القول بالزيادة هنا الجواب بقوله تعالى(قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ)١: الأنفال .

فالمراد به اختصاص أمرها وحكمها بالله تعالى ورسوله ﷺ ومبنى القول بالزيادة أن السؤال استعطاء ، ولو كان كذلك لماكان هذا جوابا له[2]

فالراجح أن (عن)غير زائدة ؛ لأن السؤال فيها عن الحكم لا العطاء ، ولذا تعدى بـ (عن).

وكذا من قال بزيادة أن في قوله تعالى

(وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ)يونس : ١٠) أن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف أى : أنه الحمد لله، والجملة الاسمية بعدها خبرها ، وأن ومعمولها خبر (آخر) [(٣)] .

قال السمين :وزعم الجرجانى أن (أَنِ) هنا زائدة،والتقدير وآخر دعواهم الحمد لله ، وهي دعوى لا دليل عليها مخالفة لنص سيبويه والنحويين[4].

---

[1] الدر المصون :٥ / ٥٥٥

[2] روح المعانى : ٩ / ٢٣٤)

[3] الكشاف : ٢ / ٣٣١ ، المحرر الوجيز ٣ / ١٠٨، البحر :٦ / ١٨ ، الدر المصون٦ / ١٥٦ .

[4] الدر المصون: ١٥٦/٦

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) إبراهيم: ٥. (أن) إما مفسرة، أَنْ أَخْرِجْ : أى أخرج؛لأن في الإرسال معني القول دون حروفه.أو مصدرية حذف قبلها الجار،لأن (أَرْسَلَ) يتعدى بالباء ، والجار يطرد حذفه قبل(أَنْ)و(أنَّ)[1]

وكذا من قال بزيادة "لا" في قوله تعالى[2].

(وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) فصلت

تصوير المسألة

المعهود في اللغة العربية وهو الذي تقضي به أصولها – أنه في مقام التسوية بين أمرين – تُسلط أداة النفي على فعل الاستواء ثم يذكر الأمران بطريق عطف أحدهما على الآخر،أو بصيغة التثنية.

(فمن الأول)قوله تعالى(وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ) ٥٨:غافر، وقوله سبحانه (لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ   (٢٠) الحشر. وقوله تعالى (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)٩:الزمر،

والاستفهام في هذه الآي ة– هَلْ يَسْتَوِي – إنكاري بمعنى النفي.

(ومن الثاني) – صيغة التثنية– قوله ﷻ: (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ)١٢:فاطر

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) ٢٩: الزمر.

---

[1] البحر : ٦ / ٤٠٩ ، الدر المصون : ٧ / ٧٠ ، وحاشية الشهاب : ٥ / ٤٣٩ ، وروح المعاني : ١٣ / ٢٧٠

[2] مستفاد من بحث للشيخ الدكتور عبدالرحمن تاج رحمه الله تعالى بعنوان "درء مظاهر من الجرأة في تفسير الكتاب العزيز" منشور بمجلة الأزهر السنة التاسعة والثلاثون جمادى الأولى ١٣٨٧–أغسطس ١٩٦٧. الصفحة رقم ٢٢٩–٢٣٩–

وذلك أن الاستواء من الأفعال التي لا تكتفي بفاعل واحد كالاختصام والاصطلاح والاقتتال كما قال ابن يعيش[١].

ولذلك يجب – عند الجري على مقتضى الظاهر– أن يقتصر على أداة نفي واحدة، وهو ما جاءت عليه الآيات السابقة...

نرجع إلى آية فصلت فنقول لو كان المراد مجرد نفي الاستواء بين الحسنة والسيئة لكان الأصل–وهو مقتضى الظاهر أن يقال:(ولا تستوي الحسنة والسيئة)فالعدول عن هذا الأصل لابد أن يكون لحكمة. غير القول بالتأكيد ثم إن القول بالزيادة تنافي المعنى المراد نعم الآية تدل أيضا على أن الحسنة لا تساوي السيئة ولكن ليس هذا وحده فهي لم تقل (ولا تستوي الحسنة والسيئة)كما جاءت آيات كثيرة بهذا الأسلوب.

من قال بالزيادة في تفسير الآية

قال النيسابوري:
« لا » زائدة لتأكيد نفي الاستواء ، والمعنى لا تستوي الحسنة والسيئة قط ومثالهما الإيمان والشرك والحلم والغضب والطاعة والمعصية واللطف والعنف.

وقال أبو السعود:
أي لا تستوي الخَصلةُ الحسنة والسيئةُ في الآثار والأحكام .
ولا الثانيةُ مزيدةٌ لتأكيدِ النَّفي ،
القول بالزيادة حكاه أحد رأيين،كل من ابن جرير وأبي حيان والزمخشري.

---

[١] شرح المفصل ١٣٧/٨

أما الرأي الآخر الذي قرره كل منهم

فقال الطبري:

(وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ) فكرر لا والمعنى: لا تستوي الحسنة ولا السيئة، لأن كلّ ما كان غير مساو شيئا، فالشيء الذي هو له غير مساو،غير مساويه،كما أن كل ما كان مساويا لشيء فالآخر الذي هو له مساو، مساو له، فيقال: فلان مساو فلانا، وفلان له مساو، فكذلك فلان ليس مساويا لفلان، ولا فلان مساويا له، فلذلك كرّرت لا مع السيئة، ولو لم تكن مكرّرة معها كان الكلام صحيحا.

-رأي الزيادة-

وقد كان بعض نحويي البصرة يقول: يجوز أن يقال: الثانية زائدة؛ (كما يقول قائل:لا يستوى عبدالله ولا زيد) يريد: لا يستوي عبد الله وزيد، فزيدت(لا) توكيدا، كما قال(لِئَلا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلا يَقْدِرُونَ) أي لأن يعلم، وكما قال:(لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) .[1]

ومعنى الوجه الأول الذي بسطه ابن جرير،واختاره رأيا له وصدر به الكلام
أن لا الثانية ليست زائدة للتوكيد كما يرى بعض نحاة البصرة،ولكنها كررت مع السيئة لإفادة نفي مساواة السيئة للحسنة،كما أن لا الأولى أفادت نفي مساواة الحسنة للسيئة فكأن الآية تريد أن تقول
لا تساوي الحسنة السيئة ،ولا تساوي السيئة الحسنة ؛فحذف من كل الجملتين ما صرح به في الأخرى.

هذا هو رأي الامام الطبري وهو عجيب جدا، وغريب أن يثبت مثله تفسيرا للقرآن الكريم!

[1] الطبري ٢٤/٧٥

على أن الآية لم تقل ولا تساوى الحسنة ولا السيئة،حتى يكون هناك وجه –ولو غير وجيه– لذلك التخريج العجيب،وإنما الآية تقول(وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ) بصيغة الافتعال،التي هى صريحة في اشتراك الفاعلين،في معنى الفعل على سواء،والتي يتهافت معها من غير شك ما يراه ابن جرير،معنى الآية الكريمة؛إذ يصير الكلام –على رأيه–(ولا تستوي الحسنة و السيئة ولا تستوي السيئة و الحسنة) وهذا شيئ لا يمكن قبوله على حال وإذا كان الشر بعضه أهون من بعض فالقول بزيادة لا الثانية في هذه الآية ،أهون من القول بأصالتها،على الوجه الذي اختاره ابن جرير.

ثم ذكر– الشيخ الدكتور عبدالرحمن تاج – رأي أبي حيان وشرحه بقوله وهذا معناه:أنه على هذا الوجه لا تكون لا زائدة للتوكيد؛بل هي في موقعها مثل (لا) الأولى،تؤدي ما تؤديه هذه وذلك أن الحسنة جنس له أفراد متفاوتة،وكذلك السيئة جنس متفاوت الأفراد،فقوله تعالى (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ)أريد به نفي التساوي بين أفراد الحسنة نفسها،ثم قال سبحانه (وَلَا السَّيِّئَةُ) أي أنها لا تتساوى أفرادها أيضا،فهي متفاوتة كذلك،وهذا وجه وجيه جدير بالترجيح[1]

ثم رجع إلى الزمخشرى وأثني على فهمه

(وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٢٢)فاطر.

(لا) الأولى في قوله(وَلَا الظُّلُمَاتُ – وَلَا الظِّلُّ)هي أصلية تفيد معناها الأصلي الذي هو النفي فهي ليست زائدة ولأنها تفيد الفصل بين كل متقابلين،حتى لا يفهم أن نفي التساوي بين الأشياء الثمانية جملة وليس هو بين كل اثنين منها. وإنما الكلام هنا على لا الداخلة على المقابل الثاني في قوله(وَلَا النُّورُ –وَلَا الْحَرُورُ – وَلَا الْأَمْوَاتُ) "لا" هذه قال العلماء إنها زائدة لتأكيد النفي.قال الزمخشري: فإن قلت : لا المقرونة بواو العطف ما هي؟ قلت : إذا

[1] وذكره الجلالين وتبعه شراحه

وقعت الواو في النفي قرنت بها لتأكيد معنى النفي . فإن قلت : هل من فرق بين هذه الواوات؟ قلت : بعضها ضمت شفعاً إلى شفع ، وبعضها وتراً إلى وتر[1] .

وذهب ابن عطية إلى نحو ما قاله الطبري في آية فصلت ولكن الآلوسي تعقبه فقال وزعم ابن عطية أن دخول لا على نية التكرار كأنه قيل : ولا الظلمات والنور ولا النور والظلما ت وهكذا فاستغنى بذكر الأوائل عن الثواني ودل مذكور الكلام على متروكه ، والقول بأنها مزيد لتأكيد النفي يغني عن اعتبار هذا الحذف الذي لا فائدة فيه. كما تعقبه أبو حيان بقوله: وما ذكر غير محتاج إلى تقديره ، لأنه إذا نفى استواء الظلمات والنور ، فأي فائدة في تقدير نفي استوائهما ثانياً وادعاء محذوفين؟ وأنت تقول : ما قام زيد ولا عمرو ، فتؤكد بلا معنى النفي ، فكذلك هذا[2].

قلت ولكن هل هناك تأويل أفضل من القول بزيادتها؟نعم هناك أفضل من هذا :الآية لم يكرر فيه النفي بل جاءت على مقتضى الظاهر،فقد اقتصر فيها على نفي واحد هو الذي سلط على فعل الاستواء،من غير أن يعاد ذلك النفي مع المقابل الثاني ؛لأن المقصود هو نفي مساواة الأعمى للبصير لم يقل في الآية: وما يستوى الأعمى ولا البصير،لأن هذا يفيد عدم استواء الأعمي في نفسه،وعدم استواء البصير في نفسه كذلك وهو غير المعنى المراد وحينئذ لا يكون التركيب الذي يصرح فيه بالنفي في المقابل الثاني صحيحا،ولا يقع مثله بالضرورة القرآن الكريم ما دام المقصود هو مجرد نفي التساوي بين الأمرين المتقابلين؛ لأن فعل الاستواء لا يكتفي بفاعل واحد كما نص على ذلك العلماء. أما بقية الآيات ف(لا) فيها ليست زائدة بل على نحو ما قرره الزمخشري في آية فصلت فإذا كان في الآية تقابل بين الظلمات والنور وبين الظل و الحرور،وبين الأحياء والأموات،وكان مراداً
أن ينفي الاستواء بين كل متقابلين ؛فإن هناك معنى آخر لا يعارض ذلك المراد،بل يستتبعه بالطريق الأولى وذلك أن الظلمات الحقيقية الحسية،متعددة،متفاوتة بالقوة والضعف،والشدة والخفة.وكذلك الظلمات المعنوية التي جعلت تلك تمثيلاص لها وهي الضلالات هي أنواع

---

[1] الكشاف ٦١٧/٣

[2] الآلوسي ١٨٧/٢٢ البحر ٣٠٨/٧

متفاوتة من غير شك. وكذلك النور الحسي والنور المعنوي الذي هو الهداية والإرشاد له أفراد متفاوتة بالقوة والضعف. ومثل ذلك يقال عن الظل و الحرور ،ومثله الأحياء والأموات – المراد بهم المؤمنون والكفار– كل منهم ذو مراتب ودرجات لذا أمكن أن يحمل نفي الاستواء في كل واحد من هذه المذكورات في الآيات،على أنه نفي استوائه في نفسه ،أي نفي تساوي أفراده ذاتها ويكون ذلك أولى وأرجح مما قيل بزيادة "لا". ثم يلزم من عدم تساوي أفراد النوع الواحد،أو الجنس الواحد،عدم التساوي بين النوعين أو الجنسين،بالطريق الأولى

آية غافر

(وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨)

قال الألوسي: وأعيدت (لا) في المسيء تذكيرا للنفي السابق لما بينهما من الفصل بطول الصلة ولأن المقصود بالنفي أن الكافر المسيء لا يساوي المؤمن المحسن وذكر عدم مساواة الأعمى للبصير توطئة له ولو لم يعد النفي فيه فربما ذهل عنه وظن أنه ابتداء كلام ولو قيل : ولا الذين آمنوا والمسيء لم يكن نصا فيه أيضا لاحتمال أنه مبتدأ و (قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ) خبره[1] .

والقول الراجح:أنه قد نفيت في الآية المساواة بين الأعمى والبصير ، أي بين الجاهل والعالم ، أو بين المقلد والمستبصر؛وجاء ذلك على مقتضى الظاهر ، فلم تكرر فيه أداة النفي ، ثم أريد نفي المساواة بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبين المسيء .

أي بين المحسن في العقيدة والعمل وبين المسيء فيهما؛ لكن لم يصرح بأداة النفي مع أول المتقابلين ، كما هو المعهود والأصل في ذلك ، اعتمادا على ظهور المراد منه؛ فإن المعنى على تقدير النفي ؛ كأنه قيل " وَ لا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ" وذلك أن الحرف المقدر الذي لم يظهر في الكلام هو في الحكم كالظاهر المصرح به ؛ ثم كرر النفي أي أتى به مع المقابل الثاني من الأمرين اللذين أريد نفي التسوية بينهما ، فقيل : (وَلَا الْمُسِيءُ) .

[1] روح المعاني ٨٠/٢٤

إنه لا مانع مطلقاً أن يقال (إن الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) مع المسيء متقابلان وأنه مراد في الآية نفي التسوية بينهما، ولكن الذي يمكن يمنع هو التزام أن يكون ذلك من طريق الحكم بزيادة (لا) في قوله تعالى(ولا المسيء)

وذلك أنه يمكن تحصيل ذلك المعنى المراد وهو نفي التسوية بينهما مع التزام أن (لا) أصلية على نحو ما قال الزمخشري في قوله تعالى(وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ) ويكون ذلك محصلاً معنى آخر ،يضاف إلى ذلك المراد بل يكون ممهدا ومساعدا على تحققه بالطريق الأولى .

وبيان ذلك أن يقال: إن قوله تعالى: (وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) قد نفى فيه استواء المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنفسهم ؛ فإنهم أفراد كثيرون متفاوتون ؛ في قوة الإيمان والعمل الصالح . ثم إن المقابل الثاني الذي هو المسيء في العقيدة والعمل ، له أفراد كثيرون أيضاً متفاوتون في درجات الإساءة.فأريد نفي المساواة فيما بينهم ، لقوله سبحانه : (وَلَا الْمُسِيءُ) ولا شك أن مجموع هذا وذاك يلزمه انتفاء المساواة بين المحسنين في العقيدة والعمل ، والمسيئين فيهما ؛ فإنه إذا ثبت أن النوع الواحد قد انتفت المساواة فيه نفسه ، أي انتفى التساوي بين أفراده، فإنه يلزم انتفاء المساواة بين النوعين ، أو بين أفراد النوعين ، بالطريق الأولى . وهذه نتيجة لا يمكن الوصول إليها مع زيادة (لا).

على أنه يكفي أن يقال : إنه لا موجب مطلقا للقول بالزيادة ، والأصل عدمها.

بل إن وجود كلمة النفي في التركيب مع تقدير أنها زائدة ليتوصل بذلك إلى معنى خاص من شأنه أن يعطي هذا التركيب صورة توهم غير المراد،وهذا شيئ لا ينبغي أن يُصار إليه ولا سيما في تفسير القرآن الكريم.

هذا وللعلامة الشيخ محمد عبدالله دراز بحث في غاية النفاسة بَيَّن فيه أن حرف الكاف في قوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) سورة الشورى.

ليس زائداً بل ذهب القول بأنه ضروري وله فائدته،بل لو سقط من الجملة لسقطت معه دعامة المعنى أو لتهدم ركن من أركانه... فلينظر ذلك في كتابه المفيد النبأ العظيم [1] .

---

[1] مجلة الأزهر ٢٢٩-٢٤٠ النبأ العظيمص١٦٣-١٧٣ دار طيبة السعودية١٤٢١-٢٠٠٠

المطلب الثالث

التفسير الإشاري

ومما يقارب القول بوجود المتشابه[1] الذي لا يبحث عنه و لا يعرف المراد منه القول بأن الظاهر غير مراد فيهمل الظاهر ويزعم بأنه عرف المراد الذي لا وجود له في الحقيقة. و هو ما يطلق عليه التفسير الإشاري وهو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد[2].

قال السيوطي عن ابن عطاء الله :
اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني الغريبة ليس إحالة للظاهر عن ظاهره ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جاءت الآية له ودلت عليه في عرف اللسان ولهم أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه[3].

قال الألوسي:
وأما كلام السادة الصوفية في القرآن فهو من باب الإشارات إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة وذلك من كمال الإيمان ومحض العرفان لا أنهم اعتقدوا أن الظاهر غير مراد أصلا وإنما المراد الباطن فقط إذ ذاك اعتقاد الباطنية الملاحدة توصلوا به إلى نفي الشريعة بالكلية وحاشى سادتنا من ذلك كيف وقد حضوا على حفظ التفسير الظاهر وقالوا لا بد منه أولا إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل أحكام الظاهر ... [4].

---

[1] وقد يكون عكس المتشابه بمعنى أن كل القرآن يفسر بطريقة ولا يوجد مانع من التصدي لمعرفة معناه سواء كان المفسر من للراسخين أو الزائغين .

[2] أصول التفسير وقواعده الشيخ خالد عبدالرحمن العك ص٢٠٥ الناشر:دار النفائس الطبعة الثالثة ١٤١٤-١٩٩٤

[3] الإتقان ١٩٤/٤ -١٩٨

[4] روح المعاني ٧/١

ويرى الإمام الدهلوي أن إشارات الصوفية واعتباراتهم ليست في الحقيقة من فن التفسير وإنما يظهر على قلب السالك عند استماع القرآن أشياء ، وتتولد له في نظم القرآن[1].

قال الزركشي:
كلام الصوفية في تفسير القرآن قيل إنه ليس بتفسير وإنما هو معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة.

قال ابن الصلاح:
وأنا أقول الظن بمن يوثق به منهم إذا قال شيئاً من ذلك أنه لم يذكره تفسيراً ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية وإنما ذلك منهم تنظير لما ورد به القرآن فإن النظير يذكر بالنظير ومع ذلك فياليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإبهام والالتباس. أي من باب التمثيل بالآية فسموها إشارات ولم يسموها معاني، ففارق قولهم قول الباطنية[2].

وفي تفسير قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آَيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آَمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠)سورة فصلت.

قال القاسمي:
تنبيه : شملت الآية من يضع الكلام في الآيات على غير مواضعه كما فسرها ابن عباس .

قال في (الإكليل) ففيها الرد على من تعاطي تفسير القرآن بما لا يدل عليه جوهر اللفظ كما يفعله الباطنية والاتحادية والملاحدة وغلاة المتصوفة[3].

---

[1] الأصيل والدخيل في تفسير القرآن وتأويله رواية ودراية للدكتور /عبد الغفور محمود مصطفى ص ١٦٤ .

[2] الإتقان٤/١٩٤ ،١٩٥ البرهان ٢/١٧٠مناهل العرفان ٢/٧٨ أصول التفسير وقواعده للشيخ خالد عبد الرحمن العك ص٢١٠-٢١٤

[3] المحاسن: ١٤/٥٢١١

أما الباطنية فقد قال التفتازاني:

سموا باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظواهرها، بل لها معان باطنة لا يعرفها إلا المعلم، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية، وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص محمولة على ظواهرها، ومع ذلك ففيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك ،يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وتنقسم إلى الإشارات المتعلقة بالأقوال مثل ما يأخذونها من القرآن ونحوه فتلك الإشارات هي من باب الاعتبار والقياس وإلحاق ما ليس بمنصوص بالمنصوص

مثل الاعتبار والقياس الذي يستعمله الفقهاء في الأحكام لكن هذا يستعمل في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال ودرجات الرجال ونحو ذلك

فإن كانت الإشارة اعتبارية من جنس القياس الصحيح كانت حسنة مقبولة

وإن كانت كالقياس الضعيف كان لها حكمه وإن كان تحريفا للكلام على غير تأويله كانت من جنس كلام القرامطة والباطنية والجهمية[٢].

---

[١] شرح العقائد النسفية للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ومعه العقائد النسفية للعلامة نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي تحقيق طه عبد الرءوف سعد النشر المكتبة الأزهرية للتراث صـ١٤٩

[٢] دقائق التفسير ٢/٤٧١

شروط قبول التفسير الإشاري [1] :

1- ألا يتنافى وما يظهر من معنى النظم الكريم.

2-ألا يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر .

3-ألا يكون تأويلا بعيدا.

4-ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي بل لابد أن يكون له شاهد شرعي يؤيده

5-لابد من بيان المعنى الموضوع له اللفظ الكريم أولا.

6-ألا يكون من وراء هذا التفسير تشويش على المفسر له

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله :

وتفسير على الإشارة وهو الذي ينحو إليه تفسير الصوفية وغيرهم وهذا لا بأس به بأربعة شروط :

ألا يناقض معنى الآية.

وأن يكون معنى صحيحا في نفسه.

وأن يكون في اللفظ إشعار به.

وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم.

فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباط حسنا[1] .

---

[1] أنكر ابن تيمية رحمه الله وقوع المجاز في اللغة وفي القرآن علي السواء.حيث قال: إنه ليس لمن فرق بين الحقيقة والمجاز فرق معقول يمكن به التمايز بين نوعين نعلم أن هذا التقسيم باطل وحينئذ فكل لفظ موجود في كتاب الله ورسوله فإنه مقيد بما يبين معناه فليس في شيء من ذلك مجاز بل كله حقيقة [1].وقال أيضاً :هذا التقسيم رأي تقسيم اللفظ إلي حقيقة ومجاز لا حقيقة له وليس عن فرق بينها حد صحيح يميز به بين هذا فعلم أن هذا التقسيم باطل وهو تقسيم من لم يتصور ما يقول بل يتكلم بلا علم فهم مبتدعة في الشرع مخالفون للعقل... يمكن أن يقال إن الذي أدي بابن تيمية إلي هذا الإنكار هو رده علي الجهمية والكرامية والمرجئة في محاولتهم إخراج العمل الصالح عن حقيقة الإيمان كما هو ظاهر من كلام ابن تيمية. ولعله أنكر المجاز أيضاً ليغلق الباب في وجوه الباطنية الذين قاموا بتحريف الأقوال بادعاء التأويل وقد قمت بدراسة رأي شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالة العالمية "الإمام القاسمي ومنهجه في التفسير" صـ٣٦٦-٣٨٢.(الإيمان لابن تيمية صـ٧٥ .صـ ٨٣) ومع ذلك فقد نقل القاسمي عنه ما يدل على أنه لا ينكر المجاز وقال- رحمه الله –(في بعض فتاويه):نحن نقول بالمجاز الذي قام دليله وبالتأويل الجاري على نهج السبيل ولم يوجد في شئ من كلامنا وكلام أحد منا أنا لا نقول بالمجاز والتأويل، والله عند لسان كل قائل ولكن ننكر من ذلك ما خالف الحق والصواب، وما فتح به الباب إلى هدم السنة والكتاب. واللحاق بمُحرّفة أهل الكتاب ،والمنصوص عن الإمام أحمد وجمهور أصحابه أن القرآن مشتمل على المجاز ولم يعرف عن غيره من الأئمة نص في هذه المسألة. وقد ذهب طائفة من العلماء من أصحابه وغيرهم كأبي بكر بن أبي داود وأبي الحسن الخرزى وأبى الفضل التيمى وابن حامد فيما أظن وغيرهم إلى إنكار أن يكون في القرآن مجاز وإنما دعاهم إلى ذلك ما رأوه من تحريف المحرفين للقرآن بدعوى المجاز فقابلوا الضلال والفساد بحسم المواد وخيار الأمور التوسط والاقتصاد ..." المحاسن ٦١٥٦/١٧ "

ومع كل هذا فإنه يخاف على مطالع – هذه التفاسير– أن يفهم أن هذه المعاني الإشارية هي مراد الخالق إلى خلقه في الهداية إلى تعاليم الإسلام والإرشاد إلى حقائق هذا الدين الذي ارتضاه لهم...

وبعض الناس قد فتنوا بالإقبال على دراسة تلك الإشارات والخواطر فدخل في روعهم أن الكتاب والسنة بل الإسلام كله ما هي إلا سوانح وواردات على هذا النحو من التأويلات والتوجيهات وزعموا أن الأمر ما هو إلا تخييلات وأن المطلوب منهم هو الشطح مع الخيال أينما شطح فلم يتقيدوا بتكاليف الشريعة ولم يحترموا قوانين اللغة العربية في فهم أبلغ النصوص العربية كتاب الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ

والأدهى من ذاك أنهم يتخيلون ويخيلون إلى الناس أنهم هم أهل الحقيقة الذين أدركوا الغاية واتصلوا بالله اتصالا أسقط عنهم التكليف وسما بهم لذا نحذر من الوقوع في هذه الشباك ونشير عليهم أن ينفضوا أيديهم من أمثال تلك التفاسير الإشارية الملتوية ولا يعولوا على أشباهها[2].

وهذا النوع من التفسير كان سبباً في كثير من الدخيل.

---

[1] التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ١/٥٠دار الفكر

[2] مناهل العرفان٢ /٦٤ التفسير والمفسرون ٢/٤٠٨ ..

المطلب الرابع

التفسير العلمي

بعد مطالعتي لأغلب ما كتبه أئمة التفسير العلمي[1]
أكاد أجزم بأن أفضل وسيلة للتفسير العلمي للقرآن الكريم هو الأخذ بظاهر القرآن مع الأخذ بظاهر القواطع العلمية بلا تكلف في تحميل الآية لذلك اليقين العلمي أو بمحاولة تطويع هذه المعلومة اليقينية الجديدة لتتواءم مع القرآن الكريم ، فالقرآن ليس في حاجة إلى هذا التكلف ، وإعجازه أظهر من الشمس، وبذلك يكون التفسير العلمي صحيحاً وهو الأصيل وبه يظهر إعجاز القرآن أولاً لأن هذا الأسلوب يفهمه غالبية الناس فالمسائل العلمية المعقدة لا يفهمها إلا القليل من المتخصصين ولو ربطناها بآية ما قل هذا القليل فيصبح أقل القليل وكل هذا العناء لا يزن شيئاً بجوار الوجوه العظيمة التي ذكرها العلماء عند بيان إعجاز القرآن الكريم.كما أننا سنستريح من المشككين الذين يقولون إننا نجري وراء كل ناعق يدعي اكتشافاً علمياً جديداً فنهرول إلى كشفه ونطوعه لخدمة القرآن.

وأكاد أجزم بأن استقراءً بسيطاً لما بذله العلماء في بيان الإعجاز العلمي لايسلم لهم إلا ما وافق ما ذكرته من شرط الأخذ بظاهر القرآن.
ونحن نثني على العلامة الدكتور الغمراوى– رحمه الله– لاعتماده ما سماه بحرفية القرآن ويعني به ظاهر القرآن فهو يحمل اللفظ على الحقيقة اللغوية لا على المجاز واستخرج بفكرة الثاقب وتمكنه من العلوم الطبيعية.وكشف اللثام عن معجزات القرآن الكريم .

---

[1] مثل ما كتبه الشيخ طنطاوي جوهري والأستاذ عبدالرزاق نوفل والدكتور الغمراوي والدكتور الفندي والدكتور أحمد فؤاد باشا والدكتور منصور حسب النبي والدكتور زغلول النجار وموقع هيئة الإعجاز العلمي وكثير من المقالات المكتوبة في الصحف والمجلات ومواقع الانترنت ...

وهاك مثالاً بسيطاً يبين لنا صحة ما نقول:

فمع تشدد بعضهم تجاه التفسير العلمي إلا أنه قال عند تفسير قوله تعالى: (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ): سورة الزمر .

وهو تعبير يقسر الناظر فيه قسرا على الإلتفات إلى ما كشف حديثا من كروية الأرض ومع أنني في هذه الظلال حريص على ألا أحمّل القرآن على النظريات التي يكشفها الإنسان، لأنها نظريات تخطئ وتصيب، وتثبت اليوم وتبطل غدا.

والقرآن حق ثابت يحمل آية صدقه في ذاته ، ولا يستمدها من موافقة أو مخالفة لما يكشف البشر الضعاف المهازيل!.

مع هذا الحرص فإن هذا التفسير يقسرنا قسرا على النظر في موضوع كروية الأرض.

فهو يصور حقيقة مادية ملحوظة على وجه الأرض.فالأرض الكروية تدور حول نفسها في مواجهة الشمس؛ فالجزء الذي يواجه الشمس من سطحها المكور يغمره الضوء ويكون نهارا . ولكن هذا الجزء لا يثبت؛ لأن الأرض تدور.

وكلما تحركت بدأ الليل يغمر السطح الذي كان عليه النهار وهذا السطح مكور فالنهار كان عليه مكورا والليل يتبعه مكورا كذلك. وبعد فترة يبدأ النهار من الناحية الأخرى يتكور على الليل .

وهكذا في حركة دائبة : (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ) : اللفظ يرسم الشكل ويحدد الوضع ويعين نوع طبيعة الأرض وحركتها .وكروية الأرض ودورانها يفسران هذا التعبير تفسيرا أدق من أي تفسير آخر لا يستصحب هذه النظرية.

قارن هذا بمن يريد تحميل آية سورة النمل على فهم قوله تعالى

(وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) على أن المراد بها فى الدنيا لا فى الآخرة وأن الاكتشافات العلمية أثبتت صدق هذا التفسير .

قلت هذا مخالف لما عليه السلف فقد اتفق المفسرون البغوى ابن عطية والرازى والقرطبى والألوسي والنسفى على أن ذلك يوم القيامة وهو ظاهر القرآنى المطابق لسيلق الآيات البينات.

يرى الإمام الشاطبى أن كثيراً من الناس تجاوزوا على الدعوى في القرآن الحد فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق...ورفض الشاطبى تلك الدعوى وقال:

إن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا نعم ! تضمن علوماً هي من جنس علوم العرب أو ما يُنبئ على معهودها مما يتعجب منه أولوا الألباب ولا تبلغه إدراكات العقول الراجحة دون الاهتداء بأعلامه والاستنارة بنوره ثم تجشم للرد على أدلة المتجاوزين للحد فقال : وربما استدلوا على دعواهم بقوله تعالى(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ) النحل : ٨٩.

وقوله (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ). الأنعام : ٣٨ ونحو ذلك وبفواتح السور وهى مما يعهد عند العرب وبما نقل عن الناس فيها....ونقض تلك الدعوى بأسرها بين خطأ الاستدلال بتلك الأدلة .

فقال:

فأما الآيات فالمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف والتعبد أو المراد بالكتاب في قوله (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)الأنعام : ٣٨ اللوح المحفوظ ولم يذكروا فيها- يعنى المفسرين- لم يذكروا في هذه الآيات .

ما يقتضي تضمنه لجميع العلوم النقلية والعقلية .وأما فواتح السور فقد تكلم الناس فيها بما يقتضي أن للعرب بها عهداً كعدد والجمل [1] الذي تعرفوه من أهل الكتاب حسبما ذكره أهل السير أوهى من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله تعالى وغير ذلك وأما تفسيرها بما لا عهد به فلا يكون ولم يدعه أحد ممن تقدم فلا دليل فيها على ما ادعوه وما ينقل عن على أو غيره فى هذا لا يثبت [2]

---

[1] وهذا قول لا يصح فهو من عمل اليهود والأثر المذكور من رواية الكلبي وهو كذاب متروك

[2] رواه ابن جرير عن على بسند فيه أبو بكر الهذلي وهو متروك

ثم قال:
فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن مالا يقتضيه كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه ويجب الاستعانة على فهمه على كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة فبه يوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضل عن فهمه وتقول على الله ورسوله فيه[1].

هذا ما ذهب إليه المحقق الشاطبي وأقره عليه الإمام القاسمي وارتضاه علماؤنا المحققون.

قال الشيخ محمد مصطفى المراغي:
يجب أن لا نجر الآية إلى العلوم كي نفسرها و لا العلوم إلى الآية ، و لكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها[2].

أمَّا شيخنا الأستاذ الدكتور إبراهيم خليفة فقد ذكر ألواناً سبعة من الدخيل بالرأي وعد منها ما منشأه والباعث عليه هو القصد إلى إبراز المزيد من أوجه إعجاز القرآن في كل فن ولون ولاسيما الإعجاز العلمي مع الجهل القبيح أو التجاهل السخيف بأهداف القرآن العليا وغاياته السامية وبما إذا كان سياق النص وسباقه ولحاقه مما يساعد على أمثال هذه الأوجه أو لا يمثل هذا اللون بعض المنتسبين إلى العلوم المعاصرة [3].

ووافقه على ذلك شيخنا الأستاذ الدكتور عبد الغفور مصطفى رحمه الله تعالى[4].

---

[1] الموافقات للشاطبي ٧٩/٢ -٨١ ،مقدمة المحاسن : ٩٢/١ ، ٩٣
[2] التفسير و المفسرون ٣/ ٥٥٨
[3] الدخيل في التفسير ٣٨/١
[4] في كتابه الأصيل والدخيل له وقفات موفقة في الرد على الشيخ أحمد الصديق الغماري لإفراطه القول بمطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية طبعة مكتبة القاهرة.وتعسف الرجل في تأويل القرآن بل خطأ السلف في تفسيرهم مثل قوله بأن انكدار النجوم أي الاستغناء عن ضوئها بالكهرباء.(ص٢٨) إلى غير ذلك من الأقوال العجيبة التي وضحها شيخنا رحمه الله في كتابه التفسير والمفسرون "بحث مبادئ التفسير العلمي ص٧٩٠ ،٨٠٠ ،٨٠١ ،

وبنحو ذلك قال علماء الطبيعة والفلك مثل الدكتور أحمد فؤاد باشا والدكتور الغمراوى والدكتور الفندى والدكتور زغلول النجار فقد أكد الجميع على الالتزام بالمنهج الصحيح للتفسير العلمى دون إفراط ولا تفريط.

وإننا نقر بل نفخر بالتفسير العلمى للقرآن حتى أصبح سمة من سمات التفسير فى العصر الحديث ولكن الحيطة والحذر أهم شروط هذا التفسير.

يقول الدكتور الفندى والحق أن من بين المفسرين العلميين الحديثين من أساءوا إلى هذا الواجب الديني وأقصد به تفسير القضايا العلمية التي أثارها القرآن الكريم فى ظل الثابت من حقائق العلم في ظل تلك الآفاق التي فتحها أمامنا عصر العلم ذلك إما لكونهم تخطوا حدود الثابت من حقائق العلم مما غاب عن إدراكهم أو خرج عن نطاق تخصصاتهم وإما لأنهم حملوا الآيات الكريمة مالا تحتمله من معنى أو تأويل[١].

ويقرر الدكتور أحمد باشا أن العلم اليوم على أعتاب ثورة علمية تقنية يتهاوى تحت معاولها أساس الكثير من النظريات العلمية السائدة والمذاهب الفلسفة القائمة عليها ويطرأ بسببها تحول كبير على وعي الإنسان وتصور لنفسه وللكون الذي يعيش فيه[٢].

ويناقش الدكتور أحمد فؤاد باشا جزم الدكتور الفندي – الذي كان يحذر من الإفراط في تفسير الآيات الكونية بالنظريات العلمية – بأن أحدث نظرية تبين سبب توليد البرق حيث إن النظرية تقول: إن السبب في انفصال شحنات كهربية عظمى إلى عملية نمو حبات البرد و ذوبانها بعد أن تبلغ حجما معينا.
فذكر الدكتور أحمد أن ذلك مجرد نظرية من النظريات أي لا نجزم بها.

---

[١] مجلة الوعي الإسلامي عدد ٢٠٢ ص ٤١ شوال ١٤٠١

[٢] مجلة الأزهر سنة ٦٢ ذو الحجة ١٤١٠ يوليو ١٩٩٠ د/ أحمد فؤاد باشا ص ١٢٥٨

ونحن نعيب علي البعض تحميلهم كتاب الله تعالى ما لا ينبغي حمله عليه ونعيب تأويلهم لكثير من الآيات لتوافق المسائل العلمية

وما خبر تفسير الجواهر– للإمام الشيخ طنطاوي جوهري – ببعيد، حيث لم يلق قبولاً لدى كثير من العلماء والمثقفين[1].
بل ومنع من النشر في المملكة العربية السعودية.

يقول العلامة الألوسي: وجريان الشمس والقمر مما لا ينبغي أن يشك فيه وفلاسفة العصر كانوا يزعمون أن الشمس لا تجري أصلا وأن القمر يجري على الأرض والأرض تجري على الشمس وقد سمعنا أنهم عدلوا منذ أعوام عن ذلك فزعموا أن للشمس حركة على كوكب آخر وهذا يدل على أنهم لم يكن عندهم برهان على دعواهم الأولى كما كان يقوله من كان ينتصر لهم

والظاهر أن حالهم اليوم بل وغدا مثل حالهم بالأمس ونحن مع الظواهر حتى يقوم الدليل القطعي على خلافها
وحينئذ نميل إلى التأويل وبابه واسع وكون السماء هي الفلك خلاف المعروف عن السلف وإنما هو قول قاله من أراد الجمع بين كلام الفلاسفة الأولى وكلام الشريعة فشاع فيما بين الإسلام واعتقده من اعتقده

وعن عطاء: أن الكواكب في قناديل معلقة بين السماء والأرض بسلاسل من نور في أيدي ملائكة وعليه فزينا السماء بمصابيح كقول القائل زينت السقف بالقناديل وهو ظاهر لكن الخبر لا يكاد يصح [2].

---

[1] التفسير والمفسرون ٢/٤٨٤

[2] روح المعاني ٢٧/ ١٠٠

قواعد لابد منها لقبول التفسير العلمي(شروط التفسير العلمى)[1].

١–بديهية استحالة التعارض والتناقض على القرآن؛ لأن ذلك مستحيل على الله الذي أنزل القرآن فكل ما يبدو للناظر من تعارض بين بعض الآي وبعض إنما يرجع إلى سوء فهم أو تقصير في البحث أو نقص في العلم.

٢–بديهية أن التعارض والتناقض مستحيل بين القرآن في آياته وبين الفطرة في حقائقها.

٣–لابد من التزام المنطق الصارم في المطابقة بين الآيات القرآنية وما يتصل بموضوعها من الحقائق الكونية فلا تكلف في حمل كلا منها على الآخر(موافقة سياق الآيات).

٤– أن يكون التفسير العلمي متفقاً مع تفسير السلف وقواعد اللغة العربية وموافقاً للمعاني المعروفة سلفاً.فمثلاً يقال عن الذرة وأنها مذكورة في قوله تعالى(وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦١) سورة يونس. وغيرها، بعض المتحمسين للتفسير العلمي يفسرونها بمعناها الفيزيائي الكيميائي الاصطلاحي الحديث أي التي تتكون من الكترونات وبروتونات ووسطها النواة و...

وأن القرآن سبق العلم الحديث من أن هناك ما هو أصغر من الذرة.بيد أن معنى اللفظ – الذرة – في اللغة هو الهباءة والمعنى البياني المقصود هو التصغير والتهوين والتقليل كالقطمير وحبة الخردل والورقة في مواضع أخرى والمعنى الاصطلاحي الحديث للذرة لم يدخل اللغة العربية إلا في وقت متأخر وعلى سبيل ترجمة غير حرفية ولا دقيقة للمصطلح الأجنبي (ATOM) أي غير المنقسم أو غير القابل للانقسام[2]

---

[1] مستفاد من بحوث مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية في تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم د/محمد أحمد الغمراوي ١٢٤/٤ (لاحظ أنه بموافقة أعضاء المجمع)و كتابه الإسلام في عصر العلم دار الإنسان الطبعة الثانية ١٤٠٩ =١٩٨٩ و أصول التفسير وقواعده الشيخ خالد العك صـ٢٢٤ ولشيخنا الدكتور عبد الغفور مصطفى رحمه الله جهد في ذكر شروط التفسير العلمي ذكرها في كتابه التفسير والمفسرون بحث مبادئ التفسير العلمي مع التمثيل والتوضيح صـ٧٨١–٨٠٥ وكذا اتقان البرهان ١٢٤ ،١٢٥

[2] كيف نتعامل مع القرآن العظيم صـ ٣٨٤ للعلامة الدكتور يوسف القرضاوي طبعة دار الشروق الطبعة الأولى ١٤١٩–١٩٩٩.

٥- الحذر من الوثوق بكل ما ينقل من معلومات والتأني في فهمه

(أن لا يكون التفسير حسب النظريات وهمية متداعية بل لابد أن يكون حسب الحقائق العلمية الثابتة)

فنجد بعضهم يتسارع لتفسير الآيات بنظرية غير موثوق بها بل قد لا تكون مفهومة فيتكلف ويشرحها وفق فهمه هو ويتكلف في تفسير القرآن لتلائم فهمه للنظرية أو حتى لظاهر النظرية مع أنها لم تعد كونها نظرية قابلة للقبول والرفض.

فيكون تفسير متأرجحا بين القبول والرفض متأثر لقبول النظرية أو رؤفضها مما يفقد الثقة بالتفسير العلمي بل التطاول على هذا التفسير بسبب بطلان نظرية أو ضعفها أو غير ذلك[١]، وعدم تفسير الآية إلا بعد فهمها من كتب التفسير الأخرى وعدم تخطئة الأمة فهو يكمل ما قام به السابقون لذا عليه أن يتقيد بشروط التفسير بالرأي التي ذكرناها آنفاً.

٦- التحذير من أن يتعرض التفسير العلمى لأخبار وشئون المعجزات.

فأمر المعجزات ليس داخلا تحت قوانين المادة والعقل بل المعجزة أمر خارق للعادة .

فمثلا لا يُفسر معجزة الاسراء والمعراج بالمقارنة بينها وبين غزو الفضاء فهذه معجزة يتحدى الله بها العالمين

أما غزو الفضاء فهو أمر يتعلم ويجرب ويتنافس فيه المتنافسون .

---

[١] اتقان البرهان ١٢٤، ١٢٥

الرد على من زعم أن السموات هي الكواكب :

ثبت في العلم الحديث أن السماء الزرقاء شيء وسماء الكواكب شيء أخر فالسماء الزرقاء معنا فى جو أرضنا إذ لولا غلاف الأرض الهوائي لبدت السماء سوداء كما بدت بالفعل لرجال الفضاء حين علت بهم سفنهم فوق الغلاف بغباره وبخار مائه ودخلت بهم الطبقة الشديدة التخلخل من هوائه فشتان ثم شتان بين السماء الزرقاء والسماء ذات الكواكب والنجوم[1] السموات السبع :

يقول رحمه الله : عجز الناس إلى الآن عن الوصول إلى فهم للسماوات السبع ليس عليه اعتراض . قالوا: إنها السيارات السبع فظهر من السيارات عشرة ليس من بينها القمر كما يقول اليونان [2]. وقالوا: إنها سبعة عوالم فى السماء فكانوا كأن لم يقولوا[1]. شيئاً إذ ليس هناك ما يحدد معنى عوالمهم هذه والعوالم والأكوان أكثر من سبعة بكثير .

وقال فى مبحث آخر والسماء في العلم هي سماء الشمس والقمر والشهب والكواكب والنجوم والسدم .أما فى اللغة فالسماء متعددة المعاني : هي سماء العلم هذه وهى أيضا السماء الزرقاء التي تبدو النجوم كأنها فيها وهى فوقها ثم هي تطلق أيضا على السحاب وعلى ما نزل من السحاب من أمطار فالناظر في موضوع السماء في القرآن وفى العلم عليه أن يميز في الآيات القرآنية بين ما هو خاص بالنجوم وما إليها وما هو خاص بسماء جو الأرض من سحاب وما إليه من زرقة الطبقات العليا من هوائه . التي هي عادة أول ما يفهم الناس من لفظ السماء ومن وصفها [3] .

---

[1] السنن الكونية الغمراوى صـ ٣٠٩ . ٣١٠

[2] وهذه السبعة والثامن (أورانس) واكتشفت الكواكب التاسع (بلوتو) عام ١٩٣٠ وأن هذا الكوكب سيستعيد وضعه عام ١٩٩٩ كأبعد كوكب يدور حول الشمس دورة كاملة كل ٢٤٨ سنة أرضية ويتحرك حوله قمر كبير يدعى(شارون) في مواجهة ثابتة على غرار ما يحدث لكوكب الأرض آلتي تواجه جانبا واحد للقمر بصورة دائمة .... واقترح العالم الفلكي (جوزيف برادي) بوجود كوكب إضافي بعد (بلوتو) أطلق عليه اسم (كوكب X) تبلغ كتلته حوالي ثلاثة أمثال كتلة زحل ويقع على بعد (٩٩٢٠) مليون كيلو متر من الشمس وهو يدور حولها في زمن قدره ٤٦٤ سنة أرضية .وقد تقدم (برادي) باقتراحه هذا في عام (١٩٧٢) بعد إجراء حسابات معقدة باستخدام الحاسب الآلي وإذا ما تم اكتشاف هذا الكوكب (إكس) في المستقبل فان عدد الكواكب الموجودة في مجموعتنا الشمسية يكون قد بلغ أحد عشر كوكباً تشمل الكواكب التسعة المعروفة حالياً وهى (عطارد . الزهرة والأرض والمريخ والمشترى وزحل وأورانوس ونبتون وبلوتو) بالإضافة إلى حزام الكويكبات الموجود بين المريخ [2] ءوالمشترى والذي يعتقد العلماء إنه بقايا كوكب متحطم . (أ.زد/أحمد فؤاد / مجلة الأزهر رمضان سنة ١٤١٣ ،ن٩٠/١٤٢٠ عام سنة ١٩٣٠) . وكل هذا ظن وتوقع فقد أعلن مؤخر أنه هيئة الفضاء الأمريكية حذفت كوكب بلوتو من قائمة الكواكب ولعلها بعد مدة تتراجع وتضيفه ...

[3] السنن صـ ٣٢٢

الرد على من زعم أن سرعة الضوء مذكورة في القرآن الكريم

هذا وقد نشرت مجلة الأزهر مقالات متعددة للأستاذ الدكتور منصور محمد حسب النبي[1]، زعم فيها أن سرعة الضوء مذكورة في القرآن كما زعم أن سرعة الضوء هي السرعة الكونية القصوى،بل جعل تلك السرعة هي سرعة الأمر الكوني بل قال معادلة يقول إنها معادلة قرآنية وهي "المسافة التي يقطعها الأمر الكوني بالسرعة القصوى في يوم أرضي واحد = المسافة التي يقطعها القمر في مداره الخاص حول الأرض في ألف عام .

ثم أخذ يكر معالات رياضية ومسائل فلكية وأمور صعبة الفهم لعامة المثقفين فضلاً عن عامة الناس مما يجعلنا نتعجب كيف يقحم القرآن بهذه الصورة بين هذه العلوم النظرية وكيف يجزم بأن سرعة الأمر الإلهي هي سرعة الضوء وهذه غيب محض بل العقل يستبعد هذه الجرأة فإن ضوء الشمس يصل إلينا في ثمان دقائق فكيف ينزل سيدنا جبريل عليه السلام على الرسول ﷺ من فوق سبع سماوات بسرعة الضوء فإن ذلك يحتاج لملايين الميارات من السنين .

وقد ذكر الدكتور السمان أن باحثين بقسم الفيزياء بجامعة النرويج نشرا بحثاً انتهيا فيه إلى أن "الفوتونات"– وهي مكونات الضوء وهي جسيميات عديمة الكتلة ولا تحمل شحنة هذه "الفوتونات"قد اخترقت حاجزاً مادياً بسرعة بلغ مقدارها ١,٧ قدر سرعة الضوء في الهواء"ثم ذكر التجربة "[2].

---

[1] كان رحمه الله رئيس قسم الطبيعة بكلية البنات جامعة عين شمس ونائب رئيس الجمعية المصرية للإعجاز العلمي للقرآن والسنة. وبحوثه منشورة في مجلة الأزهر جمادى الآخرة ورجب عام ١٤١٤ وكذلك الردود في الأعداد التالية لذا قام أساتذة من علوم الطبيعة يردون عليه مثل الأستاذ الدكتور محمود عبد المطلب خشان والأستاذ الدكتور عبدالرحمن أحمد السمان وما ذكراه

[2] مجلة الأزهر عدد ذي القعدة ١٤١٤ اكتشاف سرعة أكبر من سرعة الضوء الأستاذ الدكتور عبدالرحمن أحمد السمان مدرس الرياضة التطبيقية كلية العلوم جامعة الأزهر. وكذلك مقال حول مقالى المعجزة القرآنية في حساب السرعة الضوئية"أمر الله لا تحده سرعة الضوء للأستاذ الدكتور عبدالرحمن أحمد السمان مجلة الأزهر عدد ذي الحجة ١٤١٣

كما أن الأستاذ الدكتور محمود عبدالمطلب خشان ذكر معادلات تدل على أن سرعة الجسيم يمكن أن تتجاوز سرعة الضوء،ثم قال من الثابت علميا أن هناك إشعاعا ضوئيا يسمى "تشرينكوف" لا ينبثق إلا إذا تحركت الالكتورنات بسرعة أكبر من سرعة الضوءبل قال وثمة قانون مطبق في الفلك معروف اسم قانون "هَبل" يدعي أن سرعة النجوم البعيدة تتجاوز سرعة الضوء[1].

فهناك سرعة أكبر من سرعة الضوء على كوكبنا الأرض.

ولا داعي للدخول في الغيبيات ولا الحديث عن سرعة الملائكة فضلا عن سرعة الأمر الإلهي .

---

[1] مجلة الأزهر عدد شوال ١٤١٣ حول سرعة الضوء وتفسير المعارج الأستاذ الدكتور محمود عبد المطلب خشان أستاذ الفيزياء كلية العلوم جامعة عين شمس

الخاتمة

فهذا قرآننا، تنزيل من رب العالمين، حفظه الله من التبديل والتغيير والتحريف، والله غالب على أمره.

وهذا جهد العلماء المخلصين؛ فحفظوا كتاب ربهم، وأعزوه، وصانوه؛ فاللهم لك الحمد على نعمك التي لا تحصى.

{ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }

أهم المراجع

* إبطال مزاعم الهيروغليفية تفسّر القرآن للأستاذ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد الطبعة الأولى ١٤٢٨-٢٠٧ رقم الإيداع ٢٠٠٧/١٥١٩٥

* الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار التراث

* الإحسان في مباحث من علوم القرآن الأستاذ الدكتور إبراهيم عبدالرحمن خليفة

* أحكام القرآن لابن العربي تحقيق على محمد البجاوى طبعة دار الفكر العربي

* الإسماعيلية تاريخ وعقائد تأليف : إحسان إلهي ظهير الناشر / إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان الطبعة الأولى :١٤٠٦، ١٩٨٦ لاهور باكستان

* الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق لمحمد نور الدين المنجد الناشر الفكر

* أصول التفسير وقواعده الشيخ خالد عبدالرحمن العك دار النفائس الطبعة الثالثة ١٤١٤-١٩٩٤.

* الأصيل والدخيل في تفسير القرآن وتأويله رواية ودراية للدكتور /عبد الغفور محمود مصطفى

* الإكسير في علم التفسير (سليمان بن عبدالقوي بن عبدالكريم الصرصري

الطوفي تحقيق ا.د/عبدالقادر حسين.الناشر مكتبة مكتة الآداب ١٩٧٧

* الإمام القاسمي ومنهجه في التفسير" رسالتي للعالمية تحت إشراف العلامة الدكتور /إبراهيم خليفة مخطوطة بكلية أصول الدين القاهرة.

* أصول التفسير خالد العك الناشر:دار النفائس الطبعة الثالثة ١٤١٤-١٩٩٤

* الإيمان لابن تيمية الناشر   النور الإسلامية.

* البحر المحيط للإمام محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي
تحقيق مجموعة من دارالنشر دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م

* بحوث ومقالات في اللغة د/ رمضان عبدالتواب الناشر مكتبة الخانجي القاهرة الأولى ١٤٠٣-١٩٨٣.

* البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار التـــراث

* بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية الإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر مكتبة القاهرة .

* التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري ٩/١ الناشر مكتبة الإيمان

* التبيان في أقسام القرآن لابن القيم دار الفكر

* التحرير والتنوير   للشيخ محمد الطاهر بن عاشور. الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤

* تحقيق النصوص ونشرها للعلامة المحقق عبد السلام هارون الناشر: مكتبة الخانجي

* تفسير الحلاج وهو أبو مغيث الحسين بن منصور حققه محي الدين الطعمي الطبعة الأولى ١٤٢٥– ٢٠٠٤. الناشر دار الحرم للتراث.

* تفسير القرآن للحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني تحقيق د/ مصطفى مسلم محمد مكتبة الرشد الرياض الأولى ١٤١٠

* التيسير في قواعد علم التفسير للإمام محى الدين محمد بن سليمان الكافيجى تحقيق أنور محمود المرسي خطاب الناشر دار الصحابة الطبعة الأولى ١٤٢٨–٢٠٧ .

* جريدة صوت الأزهر

* الجنى الداني في حروف المعاني لابن أُمّ قَاسِم المرادي تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد ندين فاضل المكتبة العربية بحلب ١٣٩٣.

* حاشية العطار على شرح جمع الجوامع لجلال الدين المحلى ومعه تقريرات العلامة الشربيني على حمع الجوامع "جمع الجوامع لابن السبكي   الناشر دار الكتب العلمية بيروت.

* خصائص التعبير القرآني وسماته الدكتور عبد العظيم المطعني . البلاغية مكتبة وهبه – الأولى ١٤١٣ هـ. ١٩٩٢ م.

* الدر المصون في علوم الكتاب المكنون .

للإمام أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي تحقيق د/ أحمد محمد الخراط دار القلم دمشق ط ١ -١٩٨٦

* "درء مظاهر من الجرأة في تفسير الكتاب العزيز" بحث للشيخ الدكتور عبدالرحمن تاج رحمه الله تعالى منشور بمجلة الأزهر السنة التاسعة والثلاثون

* رسائل ابن حزم الأندلسي رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها.
المحقق : إحسان عباس الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر

* روح البيان إسماعيل حقي البروسوي دار إحياء التراث العربي بيروت .

* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. للعلامة شهاب الدين محمود الألوسي المنيرية الطبعة الأولى – سنة ١٩٨٥ .

* الريح والرياح في القرآن الكريم وفي كلام العرب رسالة الأستاذ الدكتور على محمد حسن العماري "هدية مجلة الأزهر شوال ١٤١٧ هـ."

* السنن الكونية د/محمد أحمد الغمراوى دار الإنسان

* شرح الكوكب المنير لتقي الدين أبي البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار (المتوفى : ٩٧٢هـ) تحقيق : محمد الزحيلي و نزيه حماد الناشر : مكتبة العبيكان الطبعة الثانية .

* شرح تنقيح الفصول للإمام شهاب الدين أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي

* العقائد للشيخ العلامة نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي وعليه شرح العقائد النسفية للعلامة مسعود بن عمر سعد الدين التفتازاني تحقيق طه عبد الرءوف سعد الناشر المكتبة الأزهرية للتراث ١٤٢١-٢٠٠٠ .

* في تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم د/محمد أحمد الغمراوي من بحوث مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية ١٣٩٢-١٩٧١

* الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري تحقيق عبد الرزاق المهدي الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت.

* المجموع شرح المهذب للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي تحقيق الشيخ محمد نجيب المطيعي الناشر مكتبة الإرشاد جدة المملكة العربية السعودية

* مجلة الأزهر السنة ٦٢ . ذو الحجة سنة ١٤١٠ يوليه ١٩٩٠ .
* مجلة الوعي الإسلامي عدد ٢٠٢ شوال ١٤٠١
* محاسن التأويل للإمام جمال الدين القاسمي علق عليه محمد فؤاد عبد الباقي ط الحلبي
* المحرر الوجيز القاضي أبي محمد عبد الحميد بن غالب ابن عطية الأندلسي ط مكتبة ابن تيمية القاهرة : ١٤١٣ ، ١٩٩٢ تحقيق المجلس العلمي بفاس .
* المحصول في أصول الفقه : للقاضي أبي بكر بن العربي المعافري المالكي
الناشر : دار البيارق – الأردن الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م تحقيق : حسين علي البدري
* المدخل إلى التفسير الموضوعي للأستاذ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد . دار النشر والتوزيع الإسلامية الطبعة الثانية ١٤١١، ١٩٩١
* المزهر للسيوطي تحقيق محمد أحمد جاد المولى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم على أحمد البيجاوي الناشر دار التراث،
* المفردات لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني تحقبق محمد السيد الكيلاني طبعة الحلبي ١٣٨١هـ ،١٩٦١ م
* المفصل للزمخشري بشرح ابن يعيش موفق الدين يعيش بن على بن يعيش : الناشر عالم الكتؤب بيروت)
* مقالتان في التأويل د محمد سالم دار البصائر
* مغني اللبيب للعلامة ابن هشام ومعه حاشية الدسوقي مطبعة المشهد الحسيني
*مناهج تحقيق التراث بين القدماء والمحدثين د/ رمضان عبدالتواب مكتبة الخانجي. * مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني ط الحلبي
* المنهاج القرآني في التشريع للأستاذ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد .دار النشر والتوزيع الإسلامية الطبعة الأولى ١٤١٣-١٩٩٢.
* النبأ العظيم وللعلامة الشيخ الدكتور محمد عبدالله دراز دار طيبة السعودية١٤٢١-٢٠٠٠
موقع (http://aqaed.com/ejabe/index.html)

الفهرس